

الفصل الخامس

غزوة الغابة (ذي قرد)^(١)

السبت ٣ ربيع الآخر ٥٦/ ٢٢ أغسطس (آب) ٦٢٧م / ٢٩ مسرى ٣٤٣ قبطي

المبحث الأول

عرض غزوة الغابة (ذي قرد)

تاريخ الغزوة:

قال الواقدي: حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عُقْبَةَ بْنُ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكُوخِ، عَنْ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَعَارَ عُيَيْنَةُ لَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ لثَلَاثِ خَلَوْنَ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةً سِتًّا^(٢)، وَغَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَلَبِهِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، فَعَبْنَا حُمْسَ لَيْالٍ وَرَجَعْنَا لَيْلَةَ الْاِثْنَيْنِ. [المغازي للواقدي ٢/ ٥٣٧].

وقال ابن القيم: وَهَذِهِ الْغَزْوَةُ كَانَتْ بَعْدَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَقَدْ وَهَمَ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَغَازِي وَالسَّرِّ، فَذَكَرُوا أَنَّهَا كَانَتْ قَبْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ مَا قُلْنَاهُ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْحَسَنُ بْنُ سَفْيَانَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ: حَدَّثَنَا عِكْرَمَةُ بْنُ عَمَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِيَّاسُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: خَرَجْتُ أَنَا وَرَبَاحُ بْنُ مَرْسٍ لَطَلْحَةَ أَنْدُبَةَ مَعَ الْإِبِلِ، فَلَمَّا كَانَ بَعْثُ أَغَارَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُيَيْنَةَ عَلَى إِبِلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَتَلَ رَاعِيَهَا... وَسَاقَ الْقِصَّةَ، رَوَاهَا مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» بِطَوَّلِهَا.

وَوَهَمَ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ خُلَافٍ فِي «سِيرَتِهِ» فِي ذَلِكَ وَهَمًا يَبِينًا فَذَكَرَ غَزَاةَ بَنِي لَحْيَانَ بَعْدَ قُرَيْظَةَ بِسَنَةِ أَشْهُرٍ، ثُمَّ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ لَمْ يَمُكِّثْ إِلَّا لَيْالِي حَتَّى أَغَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُيَيْنَةَ وَذَكَرَ الْقِصَّةَ.

وَالَّذِي أَغَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَقِيلَ: أَبُوهُ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ يَدْرِ، فَأَيُّنَ هَذَا مِنْ قَوْلِ سَلَمَةَ ﷺ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةِ؟ [زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٢٨٠].

وقال المقرئ: وكانت غزوة الغابة، ويقال: غزاة ذي قرد، وهو ماء على بريد من المدينة، في ربيع الأول، وقال ابن عبد البر: كانت بعد لحيان بليال، وقال البخاري: كانت قبل خيبر بثلاثة أيام، وفي مسلم نحوه، وفيه نظر؛ لإجماع أهل السير على خلافه. [إمتاع الأسعاف ١/ ٢٥٩].

(١) ذو قرد: على نحو يوم من المدينة مما يلي غطفان، ويقال هو بين المدينة وخبير على يومين من المدينة. وفاء الوفا ٢/ ٣٦٠. وقرد: جبل أسود بأعلى وادي «النقمة» شمال شرقي المدينة، على قرابة ٣٥ كيلاً. المعالم الأثرية في السنة

والسيرة لشراب ص ٢٢٤، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية للبلادي ص ٢٥٠.

(٢) يبدأ شهر ربيع الآخر ٦ هـ يوم الخميس، وبالتالي فالثالث منه يوم السبت وليس الأربعاء.

قلت: جمعت رواية الإمام مسلم بين حديث سلمة رضي الله عنه عن الحديبية، ثم عن غزوة ذي قرد، ثم عن غزوة خيبر، وذكرت أن غزوة خيبر كانت بعد عودتهم من غزوة ذي قرد بثلاث ليال، وهذا ما لم يقله أحد من كتاب السيرة، ودواوين السنة، فإن الثابت عن تاريخ صلح الحديبية أنه صلى الله عليه وسلم خرج لهلal ذي القعدة سنة ست (ذكر د/ الحكمي أقوال العلماء في الإجماع على ذلك بلا خلاف. مرويات صلح الحديبية ٤٣ وما بعدها)، ومن الثابت تاريخياً - أيضاً - أن غزوة خيبر كانت في المحرم من السنة السابعة [صحيح السيرة النبوية للعلي ٣٣٨]، فيبعد أن يتأخر النبي صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى الحديبية والعودة منها من هلal ذي القعدة إلى نهاية ذي الحجة، بل إن أعلى الأقوال في مدة صلح الحديبية شهر ونصف.

[ينظر: مرويات صلح الحديبية للحكمي ص ٤٩ وما بعدها].

ومن ناحية أخرى فإن الإمام البخاري ذكر تاريخها معلناً.

وقد حاول الإمام ابن حجر تقريب الأقوال بقوله: «قوله: (وهي الغزوة التي أغاروا فيها على لقاح النبي صلى الله عليه وسلم قبل خيبر بثلاث) كذا جزم به، ومُسْتَنَدُهُ فِي ذَلِكَ حَدِيثُ إِيَّاسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ عَنْ أَبِيهِ، فَإِنَّهُ قَالَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِهِ «قَالَ: فَرجَعْنَا - أَيِ مِنَ الْغَزْوَةِ - إِلَى الْمَدِينَةِ، فَوَاللَّهِ مَا لَكُنَّا بِالْمَدِينَةِ إِلَّا ثَلَاثَ لَيَالٍ حَتَّى خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ». وَأَمَّا ابْنُ سَعْدٍ فَقَالَ: «كَانَتْ غَزْوَةُ ذِي قَرْدٍ فِي ربيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتٍّ قَبْلَ الْحَدَيْبِيَّةِ، وَقِيلَ: فِي جُمَادَى الْأُولَى».

وَعَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي شُعْبَانَ مِنْهَا، فَإِنَّهُ قَالَ: «كَانَتْ بَنُو لَحِيَّانَ فِي شُعْبَانَ سَنَةِ سِتٍّ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمْ يَقُمْ بِهَا إِلَّا لَيَالِي حَتَّى أَغَارَ عُسَيْبَةُ بْنُ حِصْنٍ عَلَى لِقَاحِهِ». قَالَ الْقُرْطُبِيُّ شَارِحُ مُسْلِمٍ فِي الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ: لَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ السِّيَرِ أَنَّ غَزْوَةَ ذِي قَرْدٍ كَانَتْ قَبْلَ الْحَدَيْبِيَّةِ، فَيَكُونُ مَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ سَلَمَةَ مِنْ وَهْمٍ بَعْضُ الرُّوَاةِ. قَالَ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُجْمَعَ بِأَنْ يُقَالَ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم كَانَ أَغْرَى سَرِيَّةً فِيهِمْ سَلَمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ إِلَى خَيْبَرَ قَبْلَ فَتْحِهَا، فَأَخْبَرَ سَلَمَةُ عَنْ نَفْسِهِ، وَعَمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ، يَعْنِي حَيْثُ قَالَ: «خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ». قَالَ: وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ ذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَغْرَى إِلَيْهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ رضي الله عنه قَبْلَ فَتْحِهَا مَرَّتَيْنِ. انْتَهَى.

وَسَيَأْتِي الْحَدِيثُ يَأْبَى هَذَا الْجَمْعَ، فَإِنَّ فِيهِ بَعْدَ قَوْلِهِ: «حِينَ خَرَجْنَا إِلَى خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَجَعَلَ عُمَرُ رضي الله عنه يَرْفُضُ بِالْقَوْلِ»، وَفِيهِ قَوْلُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ السَّائِقُ»، وَفِيهِ مُبَارَزَةٌ عَلَيَّ رضي الله عنه لِمَرْحَبٍ، وَقَتْلُ عَامِرٍ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا وَقَعَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ حِينَ خَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَعَلَى هَذَا مَا فِي الصَّحِيحِ مِنَ التَّأْرِيخِ لِعَزْوَةِ ذِي قَرْدٍ أَصَحُّ مِمَّا ذَكَرَهُ أَهْلُ السِّيَرِ.

وَيُحْتَمَلُ فِي طَرِيقِ الْجُمُعِ أَنْ تَكُونَ إِغَارَةُ عُسَيْبَةَ بْنِ حِصْنٍ عَلَى اللَّفَّاحِ وَقَعَتْ مَرَّتَيْنِ: الْأُولَى الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ، وَهِيَ قَبْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَالثَّانِيَةُ: بَعْدَ الْحُدَيْبِيَّةِ قَبْلَ الْخُرُوجِ إِلَى خَيْبَرَ، وَكَانَ رَأْسُ الَّذِينَ أَغَارُوا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُسَيْبَةَ كَمَا فِي سِيَاقِ سَلَمَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ الْحَاكِمَ ذَكَرَ فِي «الْإِكْلِيلِ» أَنَّ الْخُرُوجَ إِلَى ذِي قَرْدٍ تَكَرَّرَ، فَفِي الْأَوَّلِ: خَرَجَ إِلَيْهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ۖ قَبْلَ أُحُدٍ، وَفِي الثَّانِيَةِ: خَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي ربيع الآخر سنة خمس، والثالثة: هَذِهِ الْمُخْتَلَفُ فِيهَا. انْتَهَى.

فَإِذَا ثَبَتَ هَذَا قَوِيًّا هَذَا الْجُمُعُ الَّذِي ذَكَرْتُهُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. [فتح الباري لابن حجر ٥٢٦/٧].

ومن هنا رأيت إدراجها هنا جرياً على ترتيب كثير من كتاب السيرة، ومنهم الإمام ابن القيم رحمه نفسه.

عداوة عيينة بن حصن:

يقول أ/ باشميل: «كان عيينة بن حصن الفزاري من أعظم الزعماء نفوذاً بين القبائل النجدية حتى إنه لذلك - ومع تهوره - كان مشهوراً بلقب (الأحق المطاع)؛ لأنه كانت تتبعه وتطيع أمره عشرة آلاف قناة من فزارة وحدها، يوجه هذه الآلاف أينما شاء فيطيعونه دون أن يسألوه: كيف، ولم؟ وكان عيينة هذا من ألد أعداء رسول الله ﷺ حتى إنه في غزوة الأحزاب كان قائد أحد الأجنحة الأربعة من القبائل النجدية التي اشتركت مع اليهود في حصار المدينة.

ولما كانت الحالة التي أعقبت اندحار الأحزاب ومحزيهم اليهود في غزوة الخندق، هي حالة حرب بين المسلمين وقبائل غطفان وفزارة، فليس من المستغرب أن يقوم عيينة بن حصن الفزاري بالإغارة على المسلمين وانتهاب أي شيء تابع لهم، ولا سيما وأن منازل فزارة أقرب المنازل النجدية إلى يثرب.

الغابة مرعى إبل المسلمين:

كانت (الغابة) منطقة خصبة كثيرة النبت والشجر، وكانت بها أملاك زراعية للمسلمين، وكانت تعتبر إحدى مراعي المدينة الرئيسية، وكانت (الغابة) أقرب ما تكون إلى منازل عيينة بن حصن وقومه فزارة. كان النبي ﷺ قد بعث بمجموعة كبيرة من الإبل لترعى في (الغابة) بعث بها مع غلام له، وكان أبو ذر الصحابي المشهور ۖ موجوداً في هذه الإبل مع ولده، كما كان معهم الفارس العداء المشهور سلمة بن الأكوع ۖ.

قال الواقدي: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ، وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، وَعَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فَكُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي بِطَائِفَةٍ قَالُوا: كَانَتْ لِفَاحٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرِينَ لَفْحَةً، وَكَانَتْ مِنْ شَتَّى، مِنْهَا مَا أَصَابَ فِي ذَاتِ الرَّقَاعِ، وَمِنْهَا مَا قَدِمَ بِهِ مُحَمَّدٌ بْنُ مُسْلِمَةَ مِنْ نَجْدٍ، وَكَانَتْ تَرعى الْبَيْضَاءَ (موضع تلقاء حمى الربدة) وَتُدُون الْبَيْضَاءَ، فَأَجْدَبَ مَا هُنَاكَ فَقَرَّبُوها إِلَى الْغَابَةِ، تُصِيبُ مِنْ أَثْلِهَا وَطَرَفَائِهَا

وَتَعْدُو فِي الشَّجَرِ - قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: الْعَادِيَةُ: تَعْدُو فِي الْعِصَاهِ، أَمْ غِيلَانٍ وَغَيْرَهَا، وَالْوَاضِعَةُ: الْإِبِلُ تَرعى الْحُمْصَ، وَالْأَوَارِكُ: الَّتِي تَرعى الْأَرَاكَ - فَكَانَ الرَّاعِي يُؤُوبُ بِلَبَنِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ عِنْدَ الْمَغْرِبِ.

[المغازي للواقدي ٥٣٨/٢]

استئذان أبي ذر رضي الله عنه من الرسول ﷺ:

قال الواقدي: وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه قَدْ اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى لِقَاحِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الضَّاحِيَةِ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيْكَ، وَنَحْنُ لَا نَأْمَنُ مِنْ عُيَيْنَةِ بْنِ حِصْنٍ وَذَوِيهِ، هِيَ فِي طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافِهِمْ»، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَذَنْ لِي، فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَكَائِي بِكَ، قَدْ قُتِلَ ابْنُكَ، وَأَخَذْتُ أَمْرَاتِكَ، وَجِئْتُ تَتَوَكَّأُ عَلَى عَصَاكَ»، فَكَانَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه يَقُولُ: عَجَبًا لِي! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَكَائِي بِكَ» وَأَنَا أَلَحُّ عَلَيْهِ، فَكَانَ وَاللَّهِ عَلَى مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

[المغازي للواقدي ٥٣٨/٢]

غارة ابن حصن على لقاء الرسول ﷺ:

وصل المسلمون إلى المرعى في الغابة وباتوا، أغار عليهم عند طلوع الفجر عيينة بن حصن سيد فزارة تسانده قوة كبيرة من فرسان غطفان.

وقد استولى المغيرة على جميع إبل المسلمين واستاقوها بعد أن قتلوا ابن أبي ذر الغفاري الذي دافع عن الإبل واحتملوا أمر أنه معهم سبية.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَدِمَ ﷺ الْمَدِينَةَ (بعد غزوة بني لحيان)، فَلَمْ يُقَمْ بِهَا إِلَّا لَيْالِي قَلِيلٍ حَتَّى أَغَارَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ بْنُ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيُّ، فِي خَيْلٍ مِنْ غُطَفَانَ عَلَى لِقَاحِ (اللِقَاح: الإبل الحوامل ذوات الألبان) لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْغَابَةِ (موضع قرب المدينة من ناحية الشام، فيه أموال لأهل المدينة)، وَفِيهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ وَأَمْرَأَةٌ لَهُ، فَقَتَلُوا الرَّجُلَ، وَاحْتَمَلُوا الْمَرْأَةَ فِي اللَّقَاحِ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢٨١/٢].

وقال الواقدي: فَكَانَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه يَقُولُ: وَاللَّهِ، إِنَّا لَفِي مَنَزِلِنَا، وَلِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ رُوِّحَتْ، وَعُطِنَتْ، وَحُلِبَتْ عَمَتُهَا (العمته: ظلمة الليل، وكانت الأعراب يسمون الحلاب باسم الوقت. النهاية ٦٧/٣) وَنِمْنَا، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلِ أَحْدَقَ بِنَا عُيَيْنَةُ فِي أَرْبَعِينَ فَارَسًا، فَصَاحُوا بِنَا وَهُمْ قِيَامٌ عَلَى رُؤُوسِنَا، فَأَشْرَفَ هُمْ ابْنِي فَقَتَلُوهُ، وَكَانَتْ مَعَهُ أَمْرَأَتُهُ وَثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَنَجَوْا، وَتَنَحَّيْتُ عَنْهُمْ وَشَغَلْتُهُمْ عَنِّي إِطْلَاقَ عَقْلِ اللَّقَاحِ، ثُمَّ صَاحُوا فِي أَذْيَارِهَا، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهَا، وَجِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ وَهُوَ يَتَبَسَّمُ.

[المغازي للواقدي ٥٣٩/٢]

ولم يكن من الصحابة المحاربين حاضراً ساعة الغارة سوى سلمة بن الأكوع رضي الله عنه الذي كان يركب فرساً لطلحة بن عبيد الله، استعارها منه عند خروجه مع الرعاة استعداداً للطوارئ.

الصريخ في المدينة:

ولما كانت المسافة بين الغابة والمدينة غير قريبة، وأنه لا بد من إبلاغ النبي القائد ﷺ وأصحابه بسرعة؛ لكي يسرعوا بالنجدة لاستنقاذ الإبل من مشركي فزارة، ورأى سلمة بن الأكوع ﷺ أنه من الصعب عليه وحده الالتحام بالمشركين المغيرين لاستخلاص الإبل منهم، قرر التخلي عن الفرس التي كان يركبها، واستدعى الراعي الوحيد الذي نجا من القتل، فطلب امتطاء ظهر الجواد والانطلاق بأقصى سرعة نحو المدينة لإبلاغ النبي ﷺ خبر اعتداء ابن حصن على إبله، وطلب النجدة لاستنقاذها.

وفعلًا امتطى الراعي (واسمه رياح) - امتطى صهوة جواد ابن الأكوع وانطلق نحو المدينة يسابق الريح، ولم تكن إلا سويحات قليلة حتى كان في المدينة يصرخ (الفرع الفرع).

وكانت هذه الكلمة كافية لتعبئة كل من في المدينة من المحاربين لأنه لا يصرخ بها إلا عندما تتعرض بلاد المسلمين لخطر جسيم من قبل أعدائهم.

قال الواقدي: وَكَانَ الْمُقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو ﷺ يَقُولُ: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ السَّرْحِ جَعَلَتْ فَرَسِي سَبْعَةً لَا تَقْرُ صَرْبًا بِأَيْدِيهَا وَصَهِيلاً، يَقُولُ أَبُو مَعْبُدٍ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا شَأْنًا! فَنَنْظُرُ أَرِيهَا (حبل تشد به الدابة في محبسها)، فَإِذَا هُوَ مَمْلُوءٌ عِلْفًا، يَقُولُ: عَطَشِي! فَيَعْرِضُ الْمَاءَ عَلَيْهَا فَلَا تُرِيدُهُ، فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ أَسْرَجَهَا وَلَبَسَ سِلَاحَهُ، وَخَرَجَ حَتَّى صَلَّى الصُّبْحَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا، وَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْتَهُ، وَرَجَعَ الْمُقْدَادُ إِلَى بَيْتِهِ، وَفَرَسُهُ لَا تَقْرُ، فَوَضَعَ سَرَجَهَا وَسِلَاحَهُ وَاضْطَجَعَ، وَجَعَلَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى، فَأَتَاهُ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ الْخَيْلَ قَدْ صِيحَ بِهَا. [المغازي للواقدي ٢/ ٥٣٨-٥٣٩].

قال الواقدي: فَكَانَ سَلْمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ ﷺ يَقُولُ: غَدَوْتُ أُرِيدُ الْغَابَةَ لِلِقَاحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَنِّي أُبْلِغُهُ لَبَنَهَا، حَتَّى أَلْقَى غَلَامًا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ كَانَ فِي إِبِلٍ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَأَخْطَوْا مَكَاتَهَا وَاهْتَدَوْا إِلَى لِقَاحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ لِقَاحَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَغَارَ عَلَيْهَا عَيْبَةُ بْنُ حِصْنٍ فِي أَرْبَعِينَ فَارِسًا، فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُمْ قَدْ رَأَوْا مَدَدًا بَعْدَ ذَلِكَ أَمَدَ بِهِ عَيْبَةُ.

قَالَ سَلْمَةُ ﷺ: فَأَحْضَرْتُ فَرَسِي رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ حَتَّى وَافَيْتُ عَلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ (عن يمين المدينة ودونها. معجم ما استعجم ص ٨٤١. وقيل هي ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة، وقيل من يريد الشام. وفاء الوفا ٢/ ٢٧٧) فَصَرَخْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: يَا صَبَاحَاهُ! ثَلَاثًا، أَسْمِعْ مَنْ بَيْنَ لَا بَيْتَهَا. [المغازي للواقدي ٢/ ٥٣٩].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَمَنْ لَا أَنَّهُمْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، كُلُّ قَدْ حَدَّثَ فِي غَزْوَةِ ذِي قَرْدٍ بَعْضُ الْحَدِيثِ: أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ نَذَرَ بِهِمْ سَلْمَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْأَكْوَعِ الْأَسْلَمِيُّ ﷺ، عَدَا يُرِيدُ الْغَابَةَ مُتَوَشِّحًا قَوْسَهُ وَبَبْلَهُ وَمَعَهُ غَلَامٌ لَطَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ مَعَهُ فَرَسٌ لَهُ يَقْوَدُهُ، حَتَّى إِذَا عَلَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ نَظَرَ إِلَى بَعْضِ خِيُولِهِمْ فَأَشْرَفَ فِي نَاحِيَةِ سَلْعٍ، ثُمَّ صَرَخَ: وَاصْبَاحَاهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَسْتَدُّ فِي آثَارِ الْقَوْمِ، وَكَانَ مِثْلَ السَّبْعِ حَتَّى حَقَّ بِالْقَوْمِ، فَجَعَلَ يَرُدُّهُمْ بِالْبَلْبَلِ وَيَقُولُ إِذَا رَمَى: خُذْهَا

وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ، الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ، فَإِذَا وَجَّهْتُ الْحَيْلَ نَحْوَهُ انْطَلَقَ هَارِبًا، ثُمَّ عَارَضَهُمْ، فَإِذَا أَمَكْنَهُ الرَّمْيُ رَمَى، ثُمَّ قَالَ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ، الْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ، قَالَ: فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: أَوْيَكُنَّا هُوَ أَوَّلَ النَّهَارِ.

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٨١-٢٨٢].

بطولة نادرة لسلمة بن الأكوع

وقد أبدى سلمة بن الأكوع في هذه المعركة بطولته نادرة، وخاصة قبل وصول كتيبة الفرسان النبوية، حيث ظل بمفرده يشاغل المغيرين وبرايمهم بالنبل، وكان من أعظم الرماة في عصره، وقد استخلص مجموعة من الإبل المنهوبة قبل قدوم كتيبة الفرسان النبوية. [صلح الحديبية لباشمیل ٤٠].

عَنْ سَلَمَةَ قَالَ: خَرَجْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ ذَاهِبًا نَحْوَ الْغَابَةِ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِبَنِيهِ الْغَابَةِ لَقِيَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قُلْتُ: وَيْحَكَ، مَا بِكَ؟ قَالَ: أَخَذْتُ لِقَاحَ النَّبِيِّ ﷺ، قُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟ قَالَ: غَطَفَانُ وَفَزَارَةُ، فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ أَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا: يَا صَبَاحَاهُ، يَا صَبَاحَاهُ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ حَتَّى أَقْبَاهُمْ وَقَدْ أَخَذُوها، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَقُولُ:

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ (١)

فَاسْتَقْدْتُهَا مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَشْرَبُوا، فَأَقْبَلْتُ بِهَا أَسْوَفَهَا، فَلَقِيَنِي النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْقَوْمَ عِطَاشٌ، وَإِنِّي أَعْجَلْتُهُمْ أَنْ يَشْرَبُوا سِقْيَهُمْ، فَأَبْعَثْ فِي إِثْرِهِمْ، فَقَالَ ﷺ: «يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ، مَلَكْتُ فَاسْجِحْ (أي ظفرت وانتصرت فأحسن وكن رفيقاً)، إِنَّ الْقَوْمَ يُفَرُّونَ (من القرى، أي: أنهم وصلوا إلى قومهم، وقدم لهم الطعام) [يُقَرَّبُونَ] فِي قَوْمِهِمْ». [البخاري في الجهاد (٣٠٤١)، ومسنند أحمد ٢٧/ ٤١، ٤٣ رقم ١٦٥١٣، ٢/ ١٦٥١٥].

وعن سلمة بن الأكوع قَالَ: خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَدَّنَ بِالْأُولَى (أي الصلاة الأولى، وهي صلاة الصبح)، وَكَانَتْ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَرَعَى بِذِي قَرْدٍ، قَالَ: فَلَقِيَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ: أَخَذْتُ لِقَاحَ (جمع لقحة وهي الناقة ذات اللبن قرية العهد بالولادة) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟ قَالَ: غَطَفَانُ، قَالَ: فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ: يَا صَبَاحَاهُ، قَالَ: فَاسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ، وَقَدْ أَخَذُوا يَسْتَقُونُ مِنَ الْمَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلٍ - وَكُنْتُ رَامِيًا - وَأَقُولُ:

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ

وَأَرْجُزُ حَتَّى اسْتَقْدْتُ اللَّقَاحَ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً، قَالَ: وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالنَّاسُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ الْمَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ، فَأَبْعَثْ إِلَيْهِمُ السَّاعَةَ. فَقَالَ ﷺ: «يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ، مَلَكْتُ فَاسْجِحْ».

قَالَ: ثُمَّ رَجَعْنَا، وَيُرَدِّفُنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَاقَتِهِ حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ. [البخاري في المغازي (٤١٩٤)].

(١) الرضع: جمع راضع وهو اللثيم، وأراد أن هذا اليوم هو يوم هلاك اللثام. شرح أبي ذر ص ٣٢٩.

وَقَالَ سَلَمَةُ رضي الله عنه (في حديثه عن صلح الحديبية): ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَطْهَرَهُ (الظهر: الإبل تعد للركوب وحمل الأثقال) مَعَ رِيَّاحٍ غَلَامٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَا مَعَهُ، وَخَرَجْتُ مَعَهُ بِفَرَسٍ طَلْحَةَ أُنْدِيهِ (أن يورد الماء فيسقى قليلاً، ثم يرسل في المرعى، ثم يرد الماء، ثم المرعى) مَعَ الظَّهْرِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ قَدْ أَغَارَ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاسْتَأْفَقَهُ أَجْمَعٌ، وَقَتَلَ رَاعِيَهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رِيَّاحُ، خُذْ هَذَا الْفَرَسَ فَأَبْلِغْهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ، وَأَخْبِرْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَغَارُوا عَلَى سَرَحِهِ، قَالَ: ثُمَّ قُمْتُ عَلَى أَكْمَةٍ فَاسْتَقْبَلْتُ الْمَدِينَةَ فَنَادَيْتُ ثَلَاثًا: يَا صَبَا حَاهُ، ثُمَّ خَرَجْتُ فِي آثَارِ الْقَوْمِ أَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ، وَأَزَيَّجُ أَقْوَلُ:

أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

فَأَلْحَقُ رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصُكُ (أضرب) سَهْمًا فِي رَحْلِهِ حَتَّى خَلَصَ نَصْلُ السَّهْمِ إِلَى كَتِفِهِ، قَالَ: قُلْتُ:

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُهُمْ (أصل العقير: ضرب قوائم البعير، ثم استعمال في القتل)، فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ أَتَيْتُ شَجَرَةً فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا ثُمَّ رَمَيْتُهُ فَعَقَرْتُ بِهِ، حَتَّى إِذَا تَصَائِقَ الْجَبَلُ فَدَخَلُوا فِي تَصَائِقِهِ عَلَوْتُ الْجَبَلَ فَجَعَلْتُ أُرْدِيهِمْ بِالْحِجَارَةِ، قَالَ: فَمَا زِلْتُ كَذَلِكَ أَتَّبِعُهُمْ حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ بَعِيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا خَلَفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي، وَخَلَوَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، ثُمَّ أَتَّبَعْتُهُمْ أَرْمِيهِمْ حَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً وَثَلَاثِينَ رُحْمًا يَسْتَحِفُّونَ (أي: يطلبون بالقاءها الخفة ليكونوا أقدر على الفرار)، وَلَا يَطْرَحُونَ شَيْئًا إِلَّا جَعَلْتُ عَلَيْهِ أَرَامًا (هي الأعلام) مِنَ الْحِجَارَةِ يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى أَتَوْا مُتَضَاعِفًا مِنْ ثَنِيَّةٍ (الثنية: العقبة والطريق في الجبل)، فَإِذَا هُمْ قَدْ أَتَاهُمْ فَلَانُ ابْنُ بَدْرِ الْفَزَارِيُّ، فَجَلَسُوا يَتَضَحَّوْنَ - يَعْنِي يَتَعَدَّوْنَ - وَجَلَسْتُ عَلَى رَأْسِ قَرْنٍ (هو جبل صغير منقطع من الجبل الكبير)، قَالَ الْفَزَارِيُّ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَى؟ قَالُوا: لَقِينَا مِنْ هَذَا الْبَرَحِ (السدة)، وَاللَّهِ مَا فَارَقْنَا مُنْذُ غَلَسَ يَرْمِينَا حَتَّى انْتَرَعَ كُلُّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا، قَالَ: فَلْيَقُمْ إِلَيَّ نَقَرٌ مِنْكُمْ أَرْبَعَةً، قَالَ: فَصَعِدَ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الْجَبَلِ، قَالَ: فَلَمَّا أَمْكُنُونِي مِنَ الْكَلَامِ، قَالَ: قُلْتُ هَلْ تَعْرِفُونِي؟ قَالُوا: لَا، وَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: قُلْتُ: أَنَا سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا أَطْلُبُ رَجُلًا مِنْكُمْ إِلَّا أَذْرَكْتُهُ، وَلَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيَذْرِكُنِي، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا أَظُنُّ، قَالَ: فَرَجَعُوا، فَمَا بَرِحْتُ مَكَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ.

[مسلم في الجهاد والسير (١٨٠٧)، ومسند أحمد ٢٧ / ٧٠ رقم ١٦٥٣٩].

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: أَغَارَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُثَيْبَةَ عَلَى إِبِلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَتَلَ رَاعِيَهَا، وَخَرَجَ يَطْرُدُهَا هُوَ وَأَنَاسٌ مَعَهُ فِي خَيْلٍ، فَجَعَلْتُ وَجْهِي قِبَلَ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ نَادَيْتُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: يَا صَبَا حَاهُ، ثُمَّ أَتَبَعْتُ الْقَوْمَ فَجَعَلْتُ أَرْمِي وَأَعْقِرُهُمْ، فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ جَلَسْتُ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى مَا خَلَقَ اللَّهُ شَيْئًا مِنْ ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا جَعَلْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي، وَحَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ رُحْمًا وَثَلَاثِينَ بُرْدَةً يَسْتَحِفُّونَ

مِنْهَا، ثُمَّ أَتَاهُمْ عُسَيْبَةُ مَدَدًا، فَقَالَ: لِيَسْمُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ، فَقَامَ إِلَيَّ أَرْبَعَةٌ مِنْهُمْ، فَصَعِدُوا الْجَبَلَ، فَلَمَّا أَسْمَعْتُهُمْ، قُلْتُ: أَعْرِفُونِي، قَالُوا: وَمَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ، وَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَطْلُبُنِي رَجُلٌ مِنْكُمْ فَيَذُرْكُنِي، وَلَا أَطْلُبُهُ فَيَمُوتُنِي، فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى فَوَارِسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ، أَوْهُمْ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ، فَيَلْحَقُ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُسَيْبَةَ، وَيَعْطِفُ عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَاخْتَلَفَا طُعْنَتَيْنِ، فَعَقَرَ الْأَخْرَمُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ، فَتَحَوَّلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَى فَرَسِ الْأَخْرَمِ، فَيَلْحَقُ أَبُو قَتَادَةَ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ، فَاخْتَلَفَا طُعْنَتَيْنِ، فَعَقَرَ بِأَبِي قَتَادَةَ، وَقَتَلَهُ أَبُو قَتَادَةَ، فَتَحَوَّلَ أَبُو قَتَادَةَ عَلَى فَرَسِ الْأَخْرَمِ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى السَّاءِ الَّذِي جَلَيْتُهُمْ عَنْهُ ذُو قَرْدٍ، فِإِذَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فِي خُمْسَائِهِ فَأَعْطَانِي سَهْمَ الْفَارِسِ وَالرَّاحِلِ. [أبو داود في الجهاد (٢٧٥٢)، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح، ومسند أحمد ٢٧/ ٧٠-٧٤ رقم ١٦٥٣٩، وقال الشيخ الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم].

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ ﷺ قَالَ: عَدَا عُسَيْبَةُ بْنُ حِصْنٍ عَلَى لِقَاحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاسْتَأْفَقَهَا، قَالَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ الْأَسْلَمِيُّ: فَخَرَجْتُ بِقَوْسِي وَنَبْلِي، وَكُنْتُ أَرْمِي الصَّيْدَ، حَتَّى إِذَا كُنْتُ بَيْنَهُ الْوُدَاعِ، نَظَرْتُ فَإِذَا هُمْ يَطْرُدُونَهَا، فَعَبَوْتُ فِي الْجَبَلِ فِي سَلْعٍ، ثُمَّ صَحْتُ: يَا صَبَاحَاهُ، فَانْتَهَى صَبَاحِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَصَبَحَ فِي النَّاسِ: الْفَزَعُ الْفَزَعُ، وَخَرَجْتُ أَرْمِيهِمْ، وَأَقُولُ: خُذُوهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ، فَلَمْ أَتَشَبْ أَنْ رَأَيْتُ خَيْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهِيَ تَخْلُلُ الشَّجَرَ، فَلَحِقْتُهُمْ ثَمَانِيَةَ فَرَسَانِ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ لَحِقَهُمْ أَبُو قَتَادَةَ بْنُ رَبِيعٍ، فَطَعَنَ رَجُلًا مِنْ بَنِي فَرَازَةَ يُقَالُ لَهُ مُسْعَدَةٌ، فَتَزَعُ بُرْدَتُهُ، فَجَلَلَهُ إِيَّاهَا، ثُمَّ مَضَى فِي أَثَرِ الْعَدُوِّ مَعَ الْفَرَسَانِ، فَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ فَزَعَ النَّاسُ، وَهُمْ يَقُولُونَ: أَبُو قَتَادَةَ مَقْتُولٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ بِأَبِي قَتَادَةَ، وَلَكِنَّهُ قَيْلُ أَبِي قَتَادَةَ، خَلُّوا عَنْهُ، وَعَنْ سَلْبِهِ»، ثُمَّ قَالَ: «أَمْعِنُوا فِي أَثَرِ الْقَوْمِ»، فَأَمْعَنُوا وَاسْتَنْقَدُوا مَا اسْتَنْقَدُوا مِنَ اللَّقَاحِ، وَدَهَبُوا بِمَا بَقِيَ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ: وَفِي الْحَدِيثِ وَكَانَ يَسْمِيهِمُ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِ اللَّقَاحِ: عُكَّاشَةُ بْنُ مُحِصِنٍ، وَالْمُقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْأَسْوَدِ حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، وَخُرَزُ بْنُ نَضَلَةَ الْأَسَدِيُّ حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، قِيلَ: لَمْ يُقْتَلْ مِنَ الْقَوْمِ غَيْرُهُ، وَمِنَ الْأَنْصَارِ: سَعْدُ بْنُ زَيْدِ الْأَشْهَلِيِّ، وَهُوَ أَمِيرُ الْقَوْمِ، وَعَبَادُ بْنُ بَشْرِ الْأَشْهَلِيِّ، وَطَهِيرُ بْنُ رَافِعِ الْحَارِثِيِّ، وَأَبُو قَتَادَةَ بْنُ رَبِيعِ السُّلَمِيِّ، وَمُعَادُ بْنُ مَاعِصِ الزُّرْقِيِّ. وَكَانَ أَبُو عِيَّاشٍ الزُّرْقِيُّ أَحَدَ النَّفَرِ الْخُمْسَةِ، قَالَ: أَقْبَلْتُ عَلَى فَرَسٍ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا عِيَّاشٍ، لَوْ أَعْطَيْتَ هَذَا الْفَرَسَ مَنْ هُوَ أَفْرَسُ مِنْكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَنَا أَفْرَسُ الْعَرَبِ، فَمَا جَرَى الْفَرَسِ خَمْسِينَ ذِرَاعًا حَتَّى طَرَحَنِي، فَكَسَرَ رِجْلِي، فَقُلْتُ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَحَمَلْتُ عَلَى فَرَسِي ابْنَ عَمِّي مُعَادُ بْنُ مَاعِصِ الزُّرْقِيِّ.

[مجمع الزوائد ٢٠٨/ ٦-٢٠٩ في المغازي باب غزوة ذي قرد (١٠١٧٦)، وقال الهيثمي: في الصحيح بعضه، رواه الطبراني [المعجم الكبير ٧/ ٣١-٣٢ رقم ٦٢٧٨] وفيه موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي وهو ضعيف].

صراخ الرسول ﷺ وتسابُّق الفرسان إليه:

ولما تبلع المسلمون جلية الخبر، اهتم النبي ﷺ اهتماماً شديداً لاستيلاء النجدين على الإبل؛ لأن ذلك يعد تحدياً صارخاً من غطفان للمسلمين واستهانة بقوتهم، حيث جرأت غطفان وأغارت على سرح المسلمين في منطقة تعتبر من ضواحي المدينة.

واجتياح إبل المسلمين منها اعتبره المسلمون عملاً بالغ الخطورة وفسر بأنه قد يكون بمثابة جس النبض لقوات المسلمين، ومقدمة لهجوم شامل تقوم به قبائل غطفان على المدينة نفسها؛ لأن فزارة وحدها التي يترجمها عيينة بن حصن، تستطيع أن تحشد عشرة آلاف مقاتل.

لذلك اهتم النبي ﷺ لهذه الحادثة اهتماماً عظيماً وجهاز جيشاً كبيراً لمطاردة المغيرين وردعهم قوامه سبعة مائة مقاتل تحركوا من المدينة بقيادة الرسول ﷺ نفسه إلى منطقة الغابة.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صِيَاحُ ابْنِ الْأَكْوَعِ، فَصَرَخَ بِالْمَدِينَةِ: الْفَرَعُ الْفَرَعُ، فَتَرَامَتِ الْحَيُولُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ أَنْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْفُرْسَانِ: الْمُقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو، وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ الْمُقْدَادِ مِنَ الْأَنْصَارِ: عَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ وَفُشْ بْنُ زُعْبَةَ بْنُ زُعُرَاءَ، أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَسَعْدُ بْنُ زَيْدٍ، أَحَدُ بَنِي كَعْبِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَأَسِيدُ بْنُ ظَهْرٍ، أَخُو بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ يَشْكُ فِيهِ، وَعُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ أَخُو بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَمُحَرَّرُ بْنُ نَضْلَةَ أَخُو بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَأَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثِ بْنُ رَبِيعٍ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، وَأَبُو عِيَّاشٍ وَهُوَ عُبَيْدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ، أَخُو بَنِي زُرَيْقٍ.

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ فِيمَا بَلَغَنِي، ثُمَّ قَالَ: أَخْرِجْ فِي طَلَبِ الْقَوْمِ، حَتَّى أَلْحَقَكَ فِي النَّاسِ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٨٢].

وقال الواقدي: فَحَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ الْيَاسِ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَهْمٍ قَالَ: تَوَافَّتِ الْحَيْلُ وَهُمْ ثَلَاثَةٌ - الْمُقْدَادُ، وَأَبُو قَتَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ مَاعِصٍ، وَسَعْدُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو عِيَّاشِ الزُّرَيْقِيُّ، وَمُحَرَّرُ بْنُ نَضْلَةَ، وَعُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ، وَرَبِيعَةُ بْنُ أَكْثَمٍ.

حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ثَلَاثَةٌ: الْمُقْدَادُ، وَمُحَرَّرُ بْنُ نَضْلَةَ، وَعُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ، وَمِنْ الْأَنْصَارِ: سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ، وَهُوَ أَمِيرُهُمْ، وَأَبُو عِيَّاشِ الزُّرَيْقِيُّ فَارِسٌ جُلُوءَةٌ (قال ابن إسحاق: وفرس أبي عياش جلوة. السيرة النبوية ٣/٢٩٦)، وَعَبَّادُ بْنُ بَشْرٍ، وَأَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَأَبُو قَتَادَةَ. [المغازي للواقدي ٢/٥٤١-٥٤٢].

قال الواقدي: حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْفُرْسَانِ الْمُقْدَادُ حَتَّى لَحِقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذِي قَرْدٍ.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، عَنِ الْمُسَوَّرِ بْنِ رِفَاعَةَ عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ قَالَ: كَانَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ أَمِيرَ الْقَوْمِ، وَقَالَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه: أَرَأَيْتَ حَيْثُ جَعَلْتَ الْمُقْدَادَ رَأْسَ السَّرِيَّةِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اسْتَعْمَلَنِي عَلَى السَّرِيَّةِ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ لَقَدْ نَادَى الصَّرِيخُ: الْفَزَعُ، فَكَانَ الْمُقْدَادُ أَوَّلَ مَنْ طَلَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «امْضِ حَتَّى تَلْحَقَكَ الْحُيُولُ»، فَمَضَى أَوَّلًا، ثُمَّ تَوَافَيْنَا بَعْدَ عِنْدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَقَدْ مَضَى الْمُقْدَادُ أَوَّلَنَا، فَاسْتَعْمَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى السَّرِيَّةِ، فَقَالَ حَسَّانُ: يَا ابْنَ عَمٍّ! وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ إِلَّا الْغَابِيَةَ حَيْثُ قُلْتُ: عِدَاةَ فَوَارِسِ الْمُقْدَادِ...، فَخَلَفَ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ أَلَّا يَكْلَمَ حَسَّانًا أَبَدًا.

وَالثَّبْتُ عِنْدَنَا أَنَّ أَمِيرَهُمْ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَشْهَلِيُّ. [المغازي للواقدي ٢/ ٥٤٧-٥٤٨].

اسْتَعْمَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ رضي الله عنه عَلَى الْمَدِينَةِ:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ رضي الله عنه.

[السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٨٤، المغازي للواقدي ٢/ ٥٣٧، ٥٤٦].

نَصِيحَةُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم لِأَبِي عِيَّاشٍ رضي الله عنه:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِيمَا بَلَغَنِي عَنْ رِجَالٍ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ لِأَبِي عِيَّاشٍ: يَا أَبَا عِيَّاشَ، لَوْ أُعْطِيتَ هَذَا الْفَرَسَ رِجُلًا، هُوَ أَفْرَسُ مِنْكَ فَلَحِقَ بِالْقَوْمِ؟ قَالَ أَبُو عِيَّاشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَفْرَسُ النَّاسِ، ثُمَّ صَرَبْتُ الْفَرَسَ، فَوَاللَّهِ مَا جَرَى بِي خَمْسِينَ ذِرَاعًا حَتَّى طَرَحَنِي، فَعَجَبْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لَوْ أُعْطِيتَ أَفْرَسَ مِنْكَ، وَأَنَا أَقُولُ أَنَا أَفْرَسُ النَّاسِ، فَرَعَمَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَطْعَى فَرَسَ أَبِي عِيَّاشٍ مُعَاذُ بْنُ مَاعِصٍ أَوْ عَائِدُ بْنُ مَاعِصٍ بَنِي قَيْسِ بْنِ خُلْدَةَ، وَكَانَ ثَامِنًا، وَبَعْضُ النَّاسِ بَعْدُ سَلَمَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَكْوَعِ أَحَدَ الثَّمَالِيَّةِ وَيَطْرَحُ أُسَيْدُ بْنُ ظَهْرٍ، أَخَا بَنِي حَارِثَةَ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ.

وَلَمْ يَكُنْ سَلَمَةُ يَوْمَئِذٍ فَارِسًا، وَقَدْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ لَحِقَ بِالْقَوْمِ عَلَى رَجْلَيْهِ.

فَخَرَجَ الْفُرْسَانُ فِي طَلَبِ الْقَوْمِ حَتَّى تَلَّاحَقُوا. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٨٢-٢٨٣].

قال الواقدي: قَالَ أَبُو عِيَّاشٍ: أَطْلُعَ عَلَى فَرَسٍ لِي، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ أُعْطِيتَ فَرَسَكَ مَنْ هُوَ أَفْرَسُ مِنْكَ فَتَبَعَ الْحُيُولَ»، فَقُلْتُ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْرَسُ النَّاسِ، فَرَكَضْتُهُ، فَمَا جَرَى بِي خَمْسِينَ ذِرَاعًا حَتَّى صَرََعَنِي الْفَرَسُ، فَكَانَ أَبُو عِيَّاشٍ يَقُولُ: فَعَجَبًا! إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَوْ أُعْطِيتَ فَرَسَكَ هَذَا مَنْ هُوَ أَفْرَسُ مِنْكَ»، وَأَقُولُ: «أَنَا أَفْرَسُ النَّاسِ». [المغازي للواقدي ٢/ ٥٤٢].

خروج طليعة المسلمين:

قال الواقدي: فَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَيْسٍ قَالَ: نَادَى: الْفَزَعُ الْفَزَعُ! ثَلَاثًا، ثُمَّ وَقَفَ وَاقِفًا عَلَى فَرَسِهِ حَتَّى طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْحَدِيدِ مُقْنَعًا فَوْقَ وَاقِفًا، فَكَانَ أَوَّلَ

مَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ الْمُقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو، عَلَيْهِ الدَّرْعُ وَالْمِعْفَرُ شَاهِرًا سَيْفَهُ، فَعَدَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوَاءً فِي رُحْجِهِ، وَقَالَ: امْضِ حَتَّى تَلْحَقَكَ الْخَيُْولُ، إِنَّا عَلَى أَثَرِكَ.

قَالَ الْمُقْدَادُ: فَخَرَجْتُ وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ الشَّهَادَةَ، حَتَّى أَذْرِكَ أَخْرِيَاتِ الْعَدُوِّ، وَقَدْ أَذَمَّ بِهِمْ (أَيِ أُعِيتِ وَتَأَخَّرَتْ عَنْ جَمَاعَةِ الْإِبِلِ) فَرَسٌ لَهُمْ فَأَقْتَحَمَ فَارِسُهُ وَرَدَفَ أَحَدَ أَصْحَابِهِ، فَأَخَذَ الْفَرَسَ الْمَدْمَ فَإِذَا هُوَ صَرَخَ (ضَعِيفٌ)، أَشْفَرُ، عَيْتِي، لَمْ يَقَوْ عَلَى الْعَدُوِّ، وَقَدْ عَدَدُوا عَلَيْهِ مِنْ أَفْصَى الْغَابَةِ فَحَسِرَ، فَأَرْبَطُ فِي عُنُقِهِ قِطْعَةً وَتَرٍ وَأَخْلِيهِ، وَقُلْتُ: إِنْ مَرَّ بِهِ أَحَدٌ فَأَخَذَهُ جِثَّتَهُ بِعَلَامَتِي فِيهِ، فَأَذْرِكُ مَسْعَدَةَ فَأَطْعُمُهُ بِرُمَحٍ فِيهِ الْوَاءُ، فَرَلَّ الرُّمَحُ وَعَطَفَ عَلَيَّ بِوَجْهِهِ فَطَعَنَنِي، وَأَخَذَ الرُّمَحَ بَعْضِي فَكَسَرْتُهُ، وَأَعْجَزَنِي هَرَبًا، وَأَنْصَبَ لِيَوَائِي فَقُلْتُ: يَرَاهُ أَصْحَابِي، وَيَلْحَقُنِي أَبُو قَتَادَةَ مُعَلِّيًا بِعِمَامَةٍ صَفْرَاءَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَسَارِيَتْهُ سَاعَةٌ وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى دُبُرِ مَسْعَدَةَ، فَاسْتَحَثَّ فَرَسُهُ فَتَقَدَّمَ عَلَى فَرَسِي، فَبَانَ سَبْقُهُ فَكَانَ أَجُودَ مِنْ فَرَسِي حَتَّى غَابَ عَنِّي فَلَا أَرَاهُ، ثُمَّ أَلْحَقَهُ فَإِذَا هُوَ يَنْزِعُ بُرْدَتَهُ فَصَحْتُ: مَا تَصْنَعُ؟ قَالَ: خَيْرًا أَصْنَعُ كَمَا صَنَعْتَ بِالْفَرَسِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَتَلَ مَسْعَدَةَ وَسَجَّاهُ بِرُودَةٍ، وَرَجَعْنَا إِذَا فَرَسٌ فِي يَدِ عُلْبَةَ بْنِ زَيْدِ الْحَارِثِيِّ، فَقُلْتُ: فَرَسِي هَذَا وَعَلَامَتِي فِيهِ! فَقَالَ: تَعَالَ إِلَى النَّبِيِّ فَجَعَلَهُ مَغْنَمًا. [المغازي للواقدي ٢/ ٥٣٩ - ٥٤٠].

سبق مُحَرِّزُ بْنُ نَضْلَةَ ﷺ واستشهاده:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ: أَنَّ أَوَّلَ فَارِسٍ لَحِقَ بِالْقَوْمِ مُحَرِّزُ بْنُ نَضْلَةَ أَخُو بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ - وَكَانَ يُقَالُ لِمُحَرِّزٍ: الْأَخْرَمُ، وَيُقَالُ لَهُ قُمَيْرٌ - وَأَنَّ الْفَرْعَ لَمَّا كَانَ جَالًا فَرَسٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ فِي الْحَائِطِ، حِينَ سَمِعَ صَاهِلَةَ الْخَيْلِ وَكَانَ فَرَسًا صَنِيعًا جَامًّا، فَقَالَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ حِينَ رَأَيْنَ الْفَرَسَ يَخُولُ فِي الْحَائِطِ بِجَذَعٍ نَخْلٍ هُوَ مَرْبُوطٌ فِيهِ: يَا قُمَيْرُ! هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَرْكَبَ هَذَا الْفَرَسَ؟ فَإِنَّهُ كَمَا تَرَى، ثُمَّ تَلَحَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبِالْمُسْلِمِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَعْطَيْنَهُ إِيَّاهُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَدَأَ الْخَيْلُ بِجَمَامِهِ، حَتَّى أَذْرَكَ الْقَوْمَ، فَوَقَفَ هُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، ثُمَّ قَالَ: قَفُوا يَا مَعْشَرَ - بَنِي الدَّلَكِيعَةِ (النَّيْمَةِ)، حَتَّى يَلْحَقَ بِكُمْ مَنْ وَرَاءَكُمْ مِنْ أَذْبَارِكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ.

قَالَ: وَحَمَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَتَلَهُ، وَجَالَ الْفَرَسُ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى أَرِيهِ (الحبل الذي تشد به الدابة، وقد يسمى الموضع الذي تقف فيه الدابة أَرِيًّا أَيْضًا) مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَلَمْ يُقْتَلْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غَيْرُهُ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَعَ مُحَرِّزٍ وَقَاصُ بْنُ حُجْرٍ الْمُدَلِجِيُّ، فِيمَا ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٨٣].

قال الواقدي: وَكَانَ مُحَرِّزُ بْنُ نَضْلَةَ حَلِيفًا فِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَلَمَّا نَادَى الصَّرِيحُ: «الْفَرْعُ الْفَرْعُ!»، كَانَ فَرَسٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ يُقَالُ لَهُ ذُو اللَّمَّةِ مَرْبُوطًا فِي الْحَائِطِ، فَلَمَّا سَمِعَ صَاهِلَةَ الْخَيْلِ صَهَلَ وَجَالَ فِي

الْحَائِطُ فِي شَطِئِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّسَاءُ: هَلْ لَكَ يَا مُحْرَزُ فِي هَذَا الْفَرَسِ فَإِنَّهُ كَمَا تَرَى صَنِيعٌ (الفرس الصنيع: هو الذي يخدمه أهله ويقومون عليه) جَاءَ تَرْكِبُهُ فَتَلَحَّقَ اللَّوَاءُ؟ وَهُوَ يَرَى رَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ مَرَّ بِهَا الْعُقَابُ يَحْمِلُهَا سَعْدٌ، قَالُوا: فَخَرَجَ فَجَزَعَ وَقَطَعَ وَادِي قَنَاةَ فَسَبَقَ الْمُقَدَّادُ، فَيَدْرِكُ الْقَوْمَ بَهِيمًا، فَاسْتَوْفَقَهُمْ فَوْقَهُمَا، فَطَاعَتْهُمْ سَاعَةً بِالرَّمْحِ، وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ مَسْعَدَةُ فَطَعَنَهُ بِالرَّمْحِ فَدَقَّهُ فِي صُلْبِهِ، وَتَنَاولَ رُمَحَ مُحْرَزٍ وَعَارَ فَرَسَهُ (أي أفلت وزهد على وجهه) حَتَّى رَجَعَ إِلَى آرِيَةِ، فَلَمَّا رَأَى النَّسَاءُ وَأَهْلَ الدَّارِ قَالُوا: قَدْ قُتِلَ.

وَيُقَالُ: كَانَ مُحْرَزٌ عَلَى فَرَسٍ كَانَ لِعُكَّاشَةَ بْنِ مُحْصَنِ يُدْعَى الْجَنَاحَ قَاتِلَ عَلَيْهِ.

وَيُقَالُ: الَّذِي قَتَلَ مُحْرَزَ بْنَ نَضْلَةَ أَوْ ثَارَ. [الغازي للواقدي ٢/ ٥٤٢-٥٤٣].

وقال الواقدي: فَحَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ قَالَ: قَالَ مُحْرَزُ بْنُ نَضْلَةَ: قَبْلَ أَنْ يَلْتَقِيَ الْقَوْمَ يَوْمَ رَأَيْتُ السَّيِّئَةَ فُرِجَتْ لِي، فَدَخَلْتُ السَّيِّئَةَ الدُّنْيَا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى السَّابِعَةِ وَانْتَهَيْتُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُشْتَمَى، فَقِيلَ لِي: هَذَا مَنْزِلُكَ، فَعَرَضْتُهَا عَلَى أَبِي بَكْرٍ - وَكَانَ مِنْ أَعْيَرِ النَّاسِ - فَقَالَ: أَبَشِّرْ بِالشَّهَادَةِ! فَقُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ. [الغازي للواقدي ٢/ ٥٤٣-٥٤٤].

ثَارُ أَبِي قَتَادَةَ ۞ لِمَقْتَلِ مُحْرَزِ بْنِ نَضْلَةَ ۞

قال الواقدي: وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أُمِّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: إِنِّي لَأَغْسِلُ رَأْسِي، قَدْ غَسَلْتُ أَحَدَ شِقَيْهِ إِذْ سَمِعْتُ فَرَسِي جُرُوءَ تَصْهَلُ وَتَبَحُّ بِحَافِرِهَا، فَقُلْتُ: هَذِهِ حَرْبٌ قَدْ حَضَرَتْ! فَقُمْتُ وَلَمْ أَغْسِلْ شِقَّ رَأْسِي الْآخَرَ، فَرَكِبْتُ وَعَلَيَّ بُرْدَةٌ لِي، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصِيحُ: الْفَرَعُ الْفَرَعُ! قَالَ: وَأَدْرِكُ الْمُقَدَّادَ بْنَ عَمْرِو فَسَايَرْتُهُ سَاعَةً، ثُمَّ تَقَدَّمَهُ فَرَسِي وَكَانَتْ أَجُودَ مِنْ فَرَسِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي الْمُقَدَّادُ - وَكَانَ سَبَقَنِي - بِقَتْلِ مَسْعَدَةَ مُحْرَزًا.

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ لِلْمُقَدَّادِ: يَا أَبَا مَعْبُدٍ أَنَا أَمُوتُ أَوْ أَقْتُلُ قَاتِلَ مُحْرَزٍ، فَضَرَبَ فَرَسَهُ فَاحْمَقَهُمْ أَبُو قَتَادَةَ، وَوَقَفَ لَهُ مَسْعَدَةُ وَحَمَلَ عَلَيْهِ أَبُو قَتَادَةَ بِالْقَنَاةِ فَدَقَّ صُلْبَهُ، وَيَقُولُ: خُذْهَا وَأَنَا الْخُرْجِيُّ، وَوَقَعَ مَسْعَدَةُ مَيِّتًا، وَنَزَلَ أَبُو قَتَادَةَ فَسَجَّاهُ بِبُرْدَتِهِ، وَجَنَّبَ فَرَسَهُ مَعَهُ، وَخَرَجَ يُخْضِرُ فِي أَثَرِ الْقَوْمِ حَتَّى تَلَاَحَقَ النَّاسُ.

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَلَمَّا مَرَّ النَّاسُ وَنَظَرُوا إِلَى بُرْدَةِ أَبِي قَتَادَةَ عَرَفُوهَا، فَقَالُوا: هَذَا أَبُو قَتَادَةَ قَتِيلُ! وَاسْتَرْجَعَ أَحَدُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا، وَلَكِنَّهُ قَتِيلُ أَبِي قَتَادَةَ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ بُرْدَتَهُ لِيَعْرِفُوا أَنَّهُ قَتِيلُهُ، فَحَلُّوا بَيْنَ أَبِي قَتَادَةَ وَبَيْنَ قَتِيلِهِ وَسَلْبِهِ وَفَرَسِهِ»، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ قَدْ أَخَذَ سَلْبَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَاللَّهِ أَبُو قَتَادَةَ قَتَلَهُ اذْفَعَهُ إِلَيْهِ».

فَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ أَبِي قَتَادَةَ، قَالَ: لَمَّا أَدْرَكَنِي النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ وَنَظَرَ إِلَيَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي شَعْرِهِ وَبَشَرِهِ!»، وَقَالَ: «أَفْلَحَ وَجْهُكَ»، قُلْتُ: وَوَجْهُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قَتَلْتَ مَسْعَدَةَ؟»، قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَمَا هَذَا الَّذِي بَوَّجْهَكَ؟». قُلْتُ: سَهْمٌ رُمِيتَ بِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَادْنُ

مِثِّي»، فَذَنُوتُ مِنْهُ فَبَصَقَ عَلَيْهِ، فَمَا ضَرَبَ (ضرب الجرح: اشتد وجعه) عَلَيْهِ قَطُّ وَلَا قَاحَ، فَهَاتَ أَبُو قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً، وَكَانَتْهُ ابْنُ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً.

قَالَ: وَأَعْطَانِي يَوْمَئِذٍ فَرَسٌ مَسْعُودَةٌ وَسِلَاحُهُ، وَقَالَ: «بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ!».

[المغازي للواقدي ٢/ ٥٤٤-٥٤٥].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمَّا تَلَا حَقَّتْ الْحَيْلُ قَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثَ بْنَ رَبِيعٍ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ حَبِيبِ بْنِ عَمِيَّةَ بْنِ حِصْنٍ، وَعَشَاءَهُ بُرْدَهُ ثُمَّ لَحِقَ بِالنَّاسِ.

وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمُسْلِمِينَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَإِذَا حَبِيبٌ مُسَجَّى بِبُرْدِ أَبِي قَتَادَةَ، فَاسْتَرْجَعَ النَّاسُ، وَقَالُوا: قُتِلَ أَبُو قَتَادَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ بِأَبِي قَتَادَةَ، وَلَكِنَّهُ قَتِيلٌ لِأَبِي قَتَادَةَ، وَضَعَ عَلَيْهِ بُرْدَهُ؛ لِتَعْرِفُوا أَنَّهُ صَاحِبُهُ».

وَأَدْرَكَ عَكَاشَةَ بْنَ مَحْصَنٍ أَوْبَارًا وَابْنَهُ عَمْرُو بْنُ أَوْبَارٍ، وَهُمَا عَلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ، فَانْتَظَمَهُمَا بِالرُّمَحِ فَقَتَلَهُمَا جَمِيعًا، وَاسْتَنْقَلُوا بَعْضُ اللُّقَاحِ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٨٤-٢٨٥].

وقال الواقدي: وَأَقْبَلَ عَبَّادُ بْنُ بَشْرِ فَيَدْرِكُ أَوْتَارًا، فَتَوَاقَفَا فَتَطَاعَنَا حَتَّى انْكَسَرَتْ رِمَاحُهُمَا، ثُمَّ صَارَا إِلَى السَّيْفَيْنِ، فَشَدَّ عَلَيْهِ عَبَّادُ بْنُ بَشْرِ فَعَانَقَهُ، ثُمَّ طَعَنَهُ بِخَنْجَرٍ مَعَهُ فَهَاتَ.

وَحَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ أَبِي عَاتِكَةَ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، عَنْ غُرَّةَ قَالَ: كَانَ أَوْتَارٌ وَعَمْرُو بْنُ أَوْتَارٍ عَلَى فَرَسٍ لَهَا يُقَالُ لَهُ الْفُرْطُ رَدِيفَيْنِ عَلَيْهِ، فَقَتَلَهُمَا عَكَاشَةُ بْنُ مَحْصَنٍ. [المغازي للواقدي ٢/ ٥٤٣].

وقال البيهقي: وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَافِظُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبٍ الْأَزْرَقِيُّ بِمَرَوْ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَيْفُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ رِيحَانَ الْمُرَوَزِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ قَتَادَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِكْرِمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ اشْتَرَى فَرَسَهُ مِنْ دَوَابِّ دَخَلَتْ الْمَدِينَةَ، فَلَقِيَهُ مَسْعُودَةُ الْفَرَارِيُّ، فَقَالَ: يَا أَبَا قَتَادَةَ! مَا هَذَا الْفَرَسُ؟ فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَرَسٌ أَرَدْتُ أَنْ أُرِبَطَهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا أَهْوَنَ قَتْلَكُمْ وَأَشَدَّ جُرَأتِكُمْ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: أَمَّا إِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ أَلْقِيَنَّكَ وَأَنَا عَلَيْهَا، قَالَ: «أَمِينَ».

فَبَيَّنَا أَبُو قَتَادَةَ ذَاتَ يَوْمٍ يَغْلِفُ فَرَسَهُ تَمَرًا فِي طَرَفِ بُرْدَتِهِ (البُرْدُ والبُرْدَةُ: السَّمَلَةُ المَخْطُطَةُ، وقيل كِسَاءُ أَسْوَدٍ مُرَبَّعٍ فِيهِ صَوْرٌ)، إِذْ رَفَعَتْ رَأْسَهَا، وَصَرَّتْ أَذْنَهَا، فَقَالَ: أَحْلَفُ بِاللَّهِ لَقَدْ حَسَّتْ بِرِيحِ خَيْلٍ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ مَا كُنَّا نَرَاهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ حِينَ جَاءَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ رَفَعَتْ الْفَرَسُ أَيْضًا رَأْسَهَا، وَصَرَّتْ أَذْنَهَا، فَقَالَ: أَحْلَفُ بِاللَّهِ لَقَدْ حَسَّتْ بِرِيحِ خَيْلٍ، فَوَضَعَ عَلَيْهَا سَرَجَهَا (السرج: ما يوضع على ظهر الدابة للركوب)، فَاسْتَرْجَهَا وَأَخَذَ سِلَاحَهُ، ثُمَّ تَهَضَّ، حَتَّى أَتَى مَكَانًا يُقَالُ لَهُ الزُّورَاءُ، فَلَقِيَهُ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ تَسُوْطُ دَابَّتَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ اللَّقَاحَ! وَقَدْ ذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَلَبِهَا وَأَصْحَابُهُ،

فَقَالَ: أَيْنَ فَأَسَارَ لَهُ نَحْوُ الثَّيْبَةِ، فَإِذَا بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ جُلُوسًا عِنْدَ دِيَابٍ، فَمَتَعَ دَابَّتَهُ ثُمَّ خَلَاهَا، فَمَرَّ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «امْضِ يَا أَبَا قَتَادَةَ صَحْبَكَ اللَّهُ».

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَخَرَجْتُ، فَإِذَا بِإِنْسَانٍ يُحَاكِّي، فَلَمْ أَنْشُبْ أَنْ هَجَمْنَا عَلَى الْعَسْكَرِ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا قَتَادَةَ! مَا تَقُولُ، أَمَّا الْقَوْمُ فَلَا طَاقَةَ لَنَا بِهِمْ، فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ: تَقُولُ إِنِّي وَاقِفٌ حَتَّى يَأْتِيَ النَّبِيُّ ﷺ أُرِيدُ أَنْ تَشْدِيَ فِي نَاحِيَةٍ وَأَشْدُ فِي نَاحِيَةٍ، فَوَثَبَ أَبُو قَتَادَةَ، فَشَقَّ الْقَوْمَ وَرَمَى بِهِمْ، فَوَقَعَ فِي جَبْهَتِهِ، قَالَ أَبُو قَتَادَةَ: فَتَرَعْتُ فِدْحَهُ، وَأَنَا أَظُنُّ أَنِّي قَدْ نَزَعْتُ الْحَدِيدَةَ، وَمَضَيْتُ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَنْشُبْ أَنْ طَلَعَ عَلَيَّ فَارِسٌ عَلَى فَرَسٍ فَارِهِ (الخفيف النشيط الماهر)، وَأَدَاةٌ كَلِيلَةٌ عَلَى وَجْهِهِ مَغْفَرٌ (زرد أو غطاء ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة) لَهُ، فَأَثْبَتَنِي وَلَمْ أَثْبِتْهُ، قَالَ: لَقَدْ لَقَانِيكَ اللَّهُ يَا أَبَا قَتَادَةَ وَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، فَإِذَا مَسْعَدَةُ الْفَزَارِيُّ، فَقَالَ: أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ مُجَالِدَةُ، أَوْ مُطَاعَنَةُ أَوْ مُصَارَعَةُ، قَالَ: فَقُلْتُ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَإِلَيْكَ، قَالَ: فَقَالَ: صِرَاعٌ، فَأَحَالَ رَجُلَهُ عَنْ دَابَّتِهِ وَأَحْلَتْ رَجُلِي عَنْ دَابَّتِي، ثُمَّ عَلَقْتُ دَابَّتِي وَسِلَاحِي إِلَى شَيْءٍ، وَعَلَقْتُ دَابَّتَهُ وَسِلَاحَهُ إِلَى شَيْءٍ، ثُمَّ تَوَاتَبْنَا فَلَمْ أَنْشُبْ أَنْ رَزَقَ اللَّهُ ﷻ الظَّفَرَ عَلَيْهِ، فَإِذَا أَنَا عَلَى صَدْرِهِ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَمِنْ أَهَمِّ النَّاسِ مِنْ رَجُلٍ مُتَابِطٍ (جعلته تحت إبطه، والإبط: باطن الذراع) قَدْ عَاجَلْتُ مِنْهُ مَا عَاجَلْتُ أَنْ أَقُومَ فَأَخَذَ سَيْفِي أَنْ يَقُومَ فَيَأْخُذَ سَيْفَهُ وَأَنَا بَيْنَ عَسْكَرَيْنِ لَا أَمْنُ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيَّ أَحَدُهُمَا إِذَا شَاءَ يَمَسُّ رَأْسِي، فَإِذَا نَحْنُ قَدْ تَعَالَجْنَا، حَتَّى بَلَغْنَا سِلَاحَ مَسْعَدَةَ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى سَيْفِهِ فَلَمَّا رَأَى أَنَّ السَّيْفَ قَدْ وَقَعَ بِيَدِي، قَالَ: يَا أَبَا قَتَادَةَ اسْتَحْيِنِي، قَالَ: قُلْتُ لَا وَاللَّهِ، أَوْ تَرَدُّ أَمَّاكَ الْهَلَاوِيَّةُ، قَالَ: يَا أَبَا قَتَادَةَ فَمَنْ لِلصَّبِيَّةِ؟ قَالَ: قُلْتُ النَّارَ، قَالَ ثُمَّ قَتَلْتَهُ، ثُمَّ أَدْرَجْتُهُ (أدخلته) فِي بَرْدِي، ثُمَّ أَخَذْتُ ثِيَابَهُ فَلَبِسْتُهَا، وَأَخَذْتُ سِلَاحَهُ ثُمَّ اسْتَوَيْتُ عَلَى فَرَسِهِ وَكَانَتْ فَرَسِي نَعْدَتْ حِينَ تَعَالَجْنَا، فَرَجَعْتُ رَاجِعَةً إِلَى الْعَسْكَرِ، قَالَ فَعَرَقَبُوهَا ثُمَّ مَضَيْتُ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَنْشُبْ أَنَا حَتَّى أَشْرَفْتُ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ وَهُوَ فِي سَبْعَةِ عَشَرَ فَارِسًا، قَالَ: فَأَلَحْتُ هُمْ فَوْقَهُمَا فَلَمَّا أَنْ دَنَوْتُ مِنْهُمْ حَمَلْتُ عَلَيْهِمْ حَمْلَةً فَطَعَنْتُ ابْنَ أَخِيهِ طَعْنَةً دَقَّقَتْ صُلْبَهُ، قَالَ: وَكَشَفَ مَنْ مَعَهُ، قَالَ: وَخَشِيتُ اللِّقَاحَ بِرَحْمِي، قَالَ: وَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِمُ الْعَسْكَرُ فَرُّوا، قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى مَوْضِعِ الْعَسْكَرِ إِذَا بِفَرَسِ أَبِي قَتَادَةَ قَدْ عُرِقَتْ، قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ مِنَ الصَّحَابَةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ عُرِقَتْ فَرَسُ أَبِي قَتَادَةَ! قَالَ: فَوَقَّفَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «وَيْحَ أُمِّكَ رَبِّ عَدُوِّكَ فِي الْحَرْبِ مَرَّتَيْنِ»، قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي تَعَالَجْنَا فِيهِ إِذَا هُمْ بِأَبِي قَتَادَةَ فِيمَا يَرُونَ سُجَّيَ فِي ثِيَابِهِ، قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اسْتَشْهَدْ أَبَا قَتَادَةَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ أَبَا قَتَادَةَ عَلَى آثَارِ الْقَوْمِ يَرْتَجِزُ»، فَدَخَلَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى فَرَسٍ قَدْ عُرِقَتْ وَيَنْظُرُونَ إِلَى مُسْجَى عَلَى ثِيَابِي، قَالَ: فَخَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَوْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَسْعَى حَتَّى كَشَفَ الثُّوبَ فَإِذَا هُوَ مَسْعَدَةُ، فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، مَسْعَدَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَكَبَّرَ النَّاسُ، وَلَمْ

يَنْسِبُ أَنْ طَلَعَ عَلَيْكُمْ أَبُو قَتَادَةَ يَحْمِلُ الْقَلْحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَفْلَحَ وَجْهَكَ أَبَا قَتَادَةَ، أَبُو قَتَادَةَ سَيِّدُ الْفُرْسَانِ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ يَا أَبَا قَتَادَةَ، وَفِي وَلَدِكَ، وَفِي وَلَدِ وَلَدِكَ، وَأَحْسَبُ عِكْرَمَةَ قَالَ: «وَفِي وَلَدِ وَلَدِ وَلَدِكَ، مَا هَذَا بِوَجْهِكَ يَا أَبَا قَتَادَةَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: يَا بِي وَأُمِّي سَهْمٌ أَصَابَنِي، وَالَّذِي أَكْرَمَكَ بِمَا أَكْرَمَكَ، لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنِّي نَزَعْتُهُ، قَالَ: «إِنِّي مَنِي يَا أَبَا قَتَادَةَ»، قَالَ: فَذُبُوتُ مِنْهُ قَالَ فَتَرَعَ النَّصْلُ نَزْعًا رَفِيقًا، ثُمَّ بَرَقَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَيْهِ، فَوَالَّذِي أَكْرَمَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالنُّبُوَّةِ مَا صَرَبَ عَلَيَّ سَاعَةً قَطُّ وَلَا قَرَحَ عَلَيَّ. [دلائل النبوة للبيهقي ١٩١/٤ - ١٩٣].

فدائية الأخرم الأسدي وشجاعة سلمة بن الأكوع

قَالَ سَلَمَةُ ﷺ: فَمَا بَرَحْتُ مَكَانِي حَتَّى رَأَيْتُ فَوَارِسَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَرَ. قَالَ: فَإِذَا أَوْحَمُ الْأَخْرَمُ الْأَسَدِيُّ، عَلَى إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ، وَعَلَى إِثْرِهِ الْمُقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ، قَالَ: فَأَخَذْتُ بِعَيْنِ الْأَخْرَمِ، قَالَ: فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، قُلْتُ: يَا أَخْرَمُ احْذَرُهُمْ لَا يَقْتَطِعُوكَ حَتَّى يَلْحَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، قَالَ: يَا سَلَمَةُ، إِنْ كُنْتُ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَادَةِ، قَالَ: فَخَلَيْتُهُ، فَالْتَقَى هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: فَعَقَرَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَرَسَهُ، وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ، وَتَحَوَّلَ عَلَى فَرَسِهِ، وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ - فَارِسُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ، فَوَالَّذِي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَتَبِعْتُهُمْ أَعْدُو عَلَى رِجْلَيْ حَتَّى مَا أَرَى وَرَائِي مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا غِبَارِهِمْ شَيْئًا، حَتَّى يَبْدُلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى شُعْبٍ فِيهِ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ دُو قَرْدٌ لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عِطَاشٌ، قَالَ: فَظَنُّوا إِلَيَّ أَعْدُو وَرَاءَهُمْ، فَحَلَيْتُهُمْ عَنْهُ - يَعْنِي أَجَلَيْتُهُمْ عَنْهُ - فَمَا ذَا قَوْمًا مِنْهُ فَطَرَةً، قَالَ: وَيَخْرُجُونَ فَيَسْتَدُونَ فِي ثِيَابِهِ، قَالَ: فَأَعْدُو فَأَلْحَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَصَكَّهُ بِسَهْمٍ فِي نَعْصِ كَتِفِهِ (هو العظم الرقيق على طرف الكف)، قَالَ: قُلْتُ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ، وَالْيَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ، قَالَ: يَا ثَكَلَيْتَهُ أُمُّهُ أَكُوْعُهُ بُكَرَةٌ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ، أَكُوْعُكَ بُكَرَةٌ، قَالَ: وَأَزْدُوا (خلفوا) فَرَسَيْنِ عَلَى ثِيَابِهِ، قَالَ: فَجِئْتُ بِهِمَا أَسْوَقَهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَلَحَقْنِي عَامِرٌ بِسَطِيحَةٍ (إناء من الجلود) فِيهَا مَذَقَةٌ (قليل من لبن ممزوج بماء) مِنْ لَبَنٍ، وَسَطِيحَةٍ فِيهَا مَاءٌ، فَتَوَضَّأْتُ وَشَرَبْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَاءِ الَّتِي حَلَيْتُهُمْ عَنْهُ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الْإِبِلَ وَكُلَّ شَيْءٍ اسْتَفْذَتْهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكُلَّ رُمَحٍ وَبُرْدَةٍ، وَإِذَا بِلَالٍ نَحَرَ نَاقَةً مِنَ الْإِبِلِ الَّتِي اسْتَفْذْتُ مِنَ الْقَوْمِ، وَإِذَا هُوَ يَشْوِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ كِبِدِهَا وَسَنَامِهَا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَلَنِي فَاتَّخِجْ مِنَ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ فَاتَّبِعِ الْقَوْمَ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ فِي ضَوْءِ النَّارِ، فَقَالَ: «يَا سَلَمَةُ أَتَرَاكَ كُنْتَ فَاعِلًا»، قُلْتُ: نَعَمْ وَالَّذِي أَكْرَمَكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَقْفِرُونَ فِي أَرْضِ عَطْفَانَ»، قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ عَطْفَانَ، فَقَالَ: نَحَرَ لَكُمْ فَلَانٌ جَزُورًا، فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْدَهَا رَأَوْا غِبَارًا، فَقَالُوا: أَتَاكُمْ الْقَوْمُ، فَخَرَجُوا هَارِبِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَانَ خَيْرُ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرُ رَجَالِنَا سَلَمَةُ»، قَالَ: ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَهْمَيْنِ: سَهْمُ الْفَارَسِ، وَسَهْمُ الرَّاجِلِ، فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا، ثُمَّ أَرَدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَرَأَاهُ عَلَى الْعَضْبَاءِ رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ. [مسلم في الجهاد والسير (١٨٠٧)، ومسنَد أحمد ٢٧ / ٧٠ رقم ١٦٥٣٩].

الاطمئنان على رسول الله ﷺ:

قال الواقدي: فَحَدَّثَنِي زَكْرِيَّا بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ أُمِّ عَامِرٍ بِنْتِ يَزِيدَ بْنِ السَّكَنِ قَالَتْ: كُنْتُ مِمَّنْ حَصَّ مُحَرَّرًا عَلَى اللَّحُوقِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنُفِي أُطْمَأْنَنُظَرُ إِلَى رَهَجِ الْغُبَارِ إِذْ أَقْبَلَ ذُو اللَّمَّةِ، فَرَسُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَسْلَمَةَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَرِيهِ، فَقُلْتُ: أَصِيبَ وَاللَّهِ! فَحَمَلْنَا عَلَى الْفَرَسِ رَجُلًا مِنْ الْحَيِّ، فَقُلْنَا: أَطْلُعْ لَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَلْ أَصَابَهُ إِلَّا خَيْرٌ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْنَا سَرِيعًا. قَالَ: فَخَرَجَ مُحْضَرًا (أحضر الفرس، وكذلك الرجل: إذا عدا) حَتَّى لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهِمَا فِي النَّاسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَأَخْبَرَنَا بِسَلَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَحَمَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى سَلَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. [المغازي للواقدي ٢ / ٥٤٣].

اندحار المغيرين واستعادة الإبل:

وكان النبي ﷺ قد بعث أمامه بقوة خفيفة من الفرسان لمقاتلة المغيرين وإشغالهم بقيادة الفارس الأنصاري الشهير سعد بن زيد بن مالك ؓ، ثم لحقهم النبي ﷺ في عامة الجيش. وقد اشتبكت فصيلة الفرسان النبوية مع المغيرين، وعلى قلة رجالها وكثرة العدو تمكنت من دحرهم واستعادة كل ما انتهبوه من إبل المسلمين، ثم طاردتهم حتى قذفت بهم إلا ما وراء حدود المسلمين، ولم يصل النبي القائد ﷺ إلى منطقة الغابة إلا بعد أن دحرت فصيلة فرسانه قوات الغطفانيين المعتدين على النحو الذي ذكرنا.

وقد أبدى سلمة بن الأكوع ؓ في هذه المعركة بطولة نادرة، وخاصة قبل وصول كتيبة الفرسان النبوية، حيث ظل بمفرده يشاغل المغيرين ويراميهم بالنبل، وكان من أعظم الرماة في عصره، وقد استخلص مجموعة كبيرة من الإبل المنهوبة قبل قدوم كتيبة الفرسان النبوية.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ بِالْجَبَلِ مِنْ ذِي قَرْدٍ، وَتَلَاَحَقَ بِهِ النَّاسُ، فَتَزَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهِ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَقَالَ لَهُ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكُوْعِ ؓ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ سَرَّحْتَنِي فِي مِائَةِ رَجُلٍ لَأَسْتَفْذْتُ بَقِيَّةَ السَّرْحِ، وَأَخَذْتُ بِأَعْنَاقِ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِيَا بَلْغَنِي: إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَعْبَقُونَ (يسقون اللبن بالعشي) فِي غَطَفَانَ». [السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٨٥].

قال الواقدي: وَخَرَجَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكُوْعِ ؓ عَلَى رِجْلَيْهِ يَعْدُو لِيَسْبِقَ الْخَيْلَ مِثْلَ السَّعْيِ.

قَالَ سَلَمَةُ: حَتَّى لَحِقْتُ الْقَوْمَ فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ، وَأَقُولُ حِينَ أَرْمِي: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ! فَتَكَرَّرَ عَلَى خَيْلٍ مِنْ خَيْلِهِمْ، فَإِذَا وَجَّهَتْ نَحْوِي انْطَلَقْتُ هَارِبًا فَأَسْبِقُهَا، وَأَعْمِدُ إِلَى الْمَكَانِ الْمُعُورِ (أي ذو عورة)، فَأُشْرِفُ عَلَيْهِ وَأَرْمِي بِالنَّبْلِ إِذَا أَمَكَّنِي الرَّمْيُ وَأَقُولُ:

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ^(١)

فَمَا زِلْتُ أَكَاغِيهِمْ وَأَقُولُ: قِفُوا قَلِيلًا، يَلْحَقُكُمْ أَرْبَابُكُمْ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَيَرْدَادُونَ عَلَيَّ حَقًّا فَيَكْرَهُونَ عَلَيَّ، فَأَعْجِزُهُمْ هَرَبًا حَتَّى انْتَهَيْتُ بِهِمْ إِلَى ذِي قَرْدٍ، وَلَحِقْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْخَيُْولُ عِشَاءً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْقَوْمَ عَطَّاشٌ وَيَسَّ هُمُ مَاءٌ دُونَ أَحْسَاءٍ كَذَا وَكَذَا، فَلَوْ بَعَثَنِي فِي مِائَةِ رَجُلٍ اسْتَنْقَذْتُ مَا بَأْيَدِيهِمْ مِنَ السَّرْحِ، وَأَخَذْتُ بِأَعْنَاقِ الْقَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَلَكْتُ فَاسْجِعْ» (أي: قدرت فسهل وأحسن العفو، وهو مثل سائر. النهاية ١٤٦/٢)، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُمْ لَيَقْرُونَ فِي عَطْفَانٍ».

[المغازي للواقدي ٢/ ٥٤٠-٥٤١].

قَالُوا: وَذَهَبَ الصَّرِيحُ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَجَاءَتْ الْأَمْدَادُ، فَلَمْ تَرَلِ الْخَيْلَ تَأْتِي، وَالرِّجَالُ عَلَى أَفْدَامِهِمْ، وَالْإِبِلُ، وَالْقَوْمُ يَعْثَبُونَ الْبُعِيرَ وَالْحِمَارَ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِذِي قَرْدٍ، فَاسْتَنْقَذُوا عَشْرَ لِقَائِحَ، وَأَقْلَتِ الْقَوْمُ بِمَا بَقِيَ وَهِيَ عَشْرٌ. [المغازي للواقدي ٢/ ٥٤٢].

قال الواقدي: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي سَبْرَةَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سَحِيمٍ قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَشْهَلِيُّ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّرْحِ أَنَا الصَّرِيحُ، فَأَنَا فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَأَلْبَسُ دِرْعِي وَأَخَذْتُ سِلَاحِي، وَأَسْتَوِي عَلَى فَرَسٍ لِي جَامٌ حِصَانٍ، يُقَالُ لَهُ النَّجْلُ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ الدَّرْعُ وَالْمِغْفَرُ لَا أَرَى إِلَّا عَيْنَيْهِ، وَالْخَيْلُ تَعْدُو قَبْلَ قِتَادَةٍ، فَالْتَمَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا سَعْدُ، امْضِ، قَدْ اسْتَعْمَلْتُكَ عَلَى الْخَيْلِ حَتَّى لَحِقْتُكَ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ»، فَقَرَّبْتُ فَرَسِي سَاعَةً، ثُمَّ خَلَيْتُهُ، فَمَرَّ يُخْضِرُ، فَأَمُرُّ بِفَرَسٍ حَسِيرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ وَأَمُرُّ بِمَسْعَدَةٍ قَتِيلِ أَبِي قِتَادَةَ، وَأَمُرُّ بِمُحَرِّزٍ قَتِيلًا فَسَاعِي، وَأَلْحَقُ الْمُقْدَادَ بْنَ عَمْرِو، وَمُعَاذَ بْنَ مَاعِصٍ، فَأَحْضَرْنَا وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى رَهَجِ الْقَوْمِ، وَأَبُو قِتَادَةَ فِي أَثَرِهِمْ، وَانْظُرْ إِلَى ابْنِ الْأَكْوَعِ يَسْبِقُ الْخَيْلَ أَمَامَ الْقَوْمِ يَرْشُقُهُمْ بِالنَّبْلِ فَوْقَهُمَا وَفَتَةً وَنَلْحَقُ بِهِمْ فَتَنَّاوُسْنَا سَاعَةً، وَأَحْمِلُ عَلَى حَبِيبِ بْنِ عُسَيْفَةَ بِالسَّيْفِ فَاقْطَعُ مِنْكِبَهُ الْأَيْسَرَ، وَخَلَى الْعِنَانَ، وَتَتَابَعَ (تسارع) فَرَسُهُ، فَيَمْعُ لَوْحِهِ، وَافْتَحَمَ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ، وَأَخَذْتُ فَرَسَهُ، وَكَانَ شِعَارَنَا: أَمْتُ أَمْتُ. وَقَدْ سَمِعْنَا فِي قَتْلِ حَبِيبِ بْنِ عُسَيْفَةَ وَجْهًا آخَرَ.

فَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا تَلَاَحَقُوا هُمْ وَالْعَدُوَّ وَقُتِلَ مِنْهُمْ مُحَرَّرُ بْنُ نَضْلَةَ، وَخَرَجَ أَبُو قِتَادَةَ فِي وَجْهِهِ، فَقَتَلَ أَبُو قِتَادَةَ مَسْعَدَةً، وَقَتَلَ أَوْثَارَ وَعَمَرُو بْنُ أَوْثَارَ، قَتَلَهَا

(١) الرضع: جمع راضع وهو اللثيم، وأراد أن هذا اليوم هو يوم هلاك اللثام. شرح أبي ذر ص ٣٢٩.

عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ، وَإِنَّ حُبَيْبَ بْنَ عُمَيْيَةَ كَانَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، هُوَ وَفَرَقَةُ بْنُ مَالِكِ ابْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، فَتَلَّهُمُ الْمُقْدَادُ بْنُ عَمْرِو. [المغازي للواقدي ٢/ ٥٤٥-٥٤٦].

صَلَاةُ الْخَوْفِ بِذِي قَرْدٍ:

قال الواقدي: قَالُوا: وَتَلَّاحَقَ النَّاسُ بِذِي قَرْدٍ، وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْخَوْفِ. فَحَدَّثَنِي سُفْيَانُ بْنُ سَعِيدٍ وَابْنُ أَبِي سَبْرَةَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَهْمٍ عَنْ عُمَيْيَةَ بْنِ عَتَبَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَصَفَّ طَائِفَةً خَلْفَهُ، وَطَائِفَةً مُوَاكِفَةً الْعَدُوَّ، فَصَلَّى بِالطَّائِفَةِ الَّتِي خَلْفَهُ رُكْعَةً وَسَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا فَقَامُوا مَقَامَ أَصْحَابِهِمْ، وَأَقْبَلَ الْآخَرُونَ فَصَلَّى بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُكْعَةً وَسَجْدَتَيْنِ، فَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رُكْعَتَانِ، وَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ رُكْعَةٌ. [المغازي للواقدي ٢/ ٥٤٦].

أَسْمَاءُ أَفْرَاسِ الْمُسْلِمِينَ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ اسْمُ فَرَسٍ مُحَمَّدٍ ذَا اللَّيْمَةِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَكَانَ اسْمُ فَرَسٍ سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ: لَاحِقٌ، وَاسْمُ فَرَسِ الْمُقْدَادِ: بَعْرَجَةٌ، وَيُقَالُ: سُبْحَةٌ، وَاسْمُ فَرَسِ عُكَّاشَةَ بْنِ مُحْصِنٍ: ذُو اللَّيْمَةِ، وَاسْمُ فَرَسِ أَبِي قَتَادَةَ: حَزْوَةٌ، وَفَرَسِ عَبَادِ بْنِ بَشِيرٍ: لَمَاعٌ، وَفَرَسِ أُسَيْدِ بْنِ ظُهَيْرٍ: مَسْنُونٌ، وَفَرَسِ أَبِي عِيَّاشٍ: جُلُودَةٌ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ لَا أَتَمُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ جُزْرًا إِنَّمَا كَانَ عَلَى فَرَسٍ لِعُكَّاشَةَ بْنِ مُحْصِنٍ يُقَالُ لَهُ: الْجَنَاحُ، فَقُتِلَ جُزْرٌ وَاسْتُبْلِتَ الْجَنَاحُ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٢٨٤].

قتلى الفريقين في المعركة:

وقد استشهد في هذه العملية ثلاثة من المسلمين، اثنان من أفراد فصيلة الفرسان النبوية هما: محرز بن نضلة رضي الله عنه (لقبه: الأخرم الأسدي واسمه محرز فضلة بن عبد الله، من بني أسد ابن خزيمة، القبيلة العدنانية النجدية العظيمة، يلقب الأخرم هذا بفارس رسول الله ﷺ، شهد مع رسول الله ﷺ بدرًا)، قتله عبد الرحمن بن عيينة بن حصن، ووقاص بن محرز رضي الله عنه (قال في الإصابة: هو وقاص بن محرز المدلجي، ونفى ابن إسحاق أن وقاص قد قتل في هذه العملية)، وابن أبي ذر لم يذكر اسمه أحد فيها رأيت من المؤرخين. أما قتلى المشركين فقد كانوا ثلاثة من فرسانهم وهم: حبيب وعبد الرحمن، أبناء عيينة بن حصن الفراري، وفارس يقال له مسعدة، من فزارة.

قال الواقدي: مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدٌ: حُزْرُ بْنُ نَضْلَةَ قَتَلَهُ مَسْعَدَةُ. وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: مَسْعَدَةُ بْنُ حَكَمَةَ، قَتَلَهُ أَبُو قَتَادَةَ، وَأَوْثَارُ وَابْنَةُ عَمْرُو بْنُ أَوْثَارٍ، قَتَلَهَا عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ، وَحُبَيْبُ بْنُ عُمَيْيَةَ، قَتَلَهُ الْمُقْدَادُ. [المغازي للواقدي ٢/ ٥٤٩].

ابن الأكوع رضي الله عنه يفوز في سباق الجري في طريق العودة:

قَالَ سَلَمَةُ رضي الله عنه: فَبَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ - قَالَ: وَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يَسْبِقُ شَدًّا.

قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ أَلَا مُسَابِقٌ إِلَى الْمَدِينَةِ؟ هَلْ مِنْ مُسَابِقٍ؟ فَجَعَلَ يُعِيدُ ذَلِكَ.

قَالَ: فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَهُ قُلْتُ: أَمَا تُكْرِمُ كَرِيمًا، وَلَا تَهَابُ شَرِيفًا، قَالَ: لَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَيِّ وَأَمِّي دَرَنِي فَلَأَسَابِقَ الرَّجُلَ، قَالَ: «إِنْ شِئْتَ»، قَالَ: قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَيْكَ،

وَتَبَّيْتُ رَجُلِي، فَطَفَرْتُ فَعَدَوْتُ، قَالَ: فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ أَسْتَبْقِي نَفْسِي، ثُمَّ عَدَوْتُ فِي إِثَرِهِ

فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، ثُمَّ إِنِّي رَفَعْتُ حَتَّى أَلْحَقَهُ، قَالَ: فَأَصْكُهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، قَالَ: قُلْتُ: قَدْ سَبَقْتَ

وَاللَّهِ، قَالَ: أَنَا أَظُنُّ، قَالَ: فَسَبَقْتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ. [مسلم في الجهاد والسير (١٨٠٧)].

أَمْرَةُ الْغَضَارِيِّ وَمَا نَذَرَتْ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ:

أما المرأة التي أسرها المغيرة بن غطفان وهي زوجة ابن أبي ذر الذي قتلته المشركون أثناء الغارة في

الغابة، فقد عادت إلى المدينة سالمة بعد أن تمكنت من الإفلات من القوم على ظهر ناقة تابعة لرسول الله ﷺ.

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه: قَالَ: كَانَتْ ثَقِيفٌ حُلَفَاءَ لِبَنِي عَقِيلٍ، فَأَسَرَّتْ ثَقِيفٌ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَسَرِ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَقِيلٍ، وَأَصَابُوا [وَأُصِيبَتْ] مَعَهُ الْعُضْبَاءُ

(أي أخذوها وهي ناقة نجبية كانت لرجل من بني عقييل ثم انتقلت إلى رسول الله ﷺ)، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ

اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْوُثَاقِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ»، فَقَالَ: بِمَ أَخَذْتَنِي، وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ

الْحَاجِّ (أراد بها العضباء فإنها كانت لا تسبق أو لا تكاد تسبق معروفة بذلك)، فَقَالَ: إِعْطَا مَا لِدَلِيكَ: «أَخَذْتُكَ

بِجَرِيرَةٍ حُلَفَاؤِكَ ثَقِيفٌ»، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَتَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا

رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ»، قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، قَالَ: «لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ

الْفَلَاحِ» (معناه لو قلت كلمة الإسلام قبل الأسر حين كنت مالك أمرك أفلحت كل الفلاح؛ لأنه لا يجوز

أسرك لو أسلمت قبل الأسر فكنت فزت بالإسلام وبالسلمة من الأسر ومن اغتنام مالك، وأما إذا أسلمت

بعد الأسر فيسقط الخيار في قتلك ويبقى الخيار بين الاسترقاق والمن والفداء)، ثُمَّ انْصَرَفَ، فَتَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا

مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: «مَا شَأْنُكَ»، قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَاطْعُمْنِي وَظَمَانٌ فَاسْقِنِي، قَالَ: «هَذِهِ حَاجَتُكَ»،

فَقُدِّي بِالرَّجُلَيْنِ.

قَالَ: وَأَسَرَتِ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأُصِيبَتْ [مَعَهَا] الْعُضْبَاءُ، فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْوُثَاقِ، وَكَانَ الْقَوْمُ

يُرْمِيُونَ نَعْمَهُمْ بَيْنَ يَدَيْ يَبُوتِهِمْ، فَأَنْفَلْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ الْوُثَاقِ، فَأَتَتِ الْإِبِلَ فَجَعَلَتْ إِذَا دَنَتْ مِنَ الْبَعِيرِ

رَعًا، فَتَبَرَّكْتُ، حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الْعُضْبَاءِ، فَلَمْ تَرُعْ، قَالَ: وَكَافَّةٌ مُتَوَقَّةٌ (أي مدربة مذلة)، فَفَعَدْتُ فِي عَجْرِهَا،

ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَأَنْطَلَقْتُ، وَنَذَرُوا بِهَا (أي علموا وأحسوا بهربها)، فَطَلَبُوهَا فَأَعْجَزَتْهُمْ.

قَالَ: وَنَذَرْتُ لِلَّهِ أَنْ نَجَّاهَا اللَّهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَّتْهَا، فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ رَأَاهَا النَّاسُ، فَقَالُوا: الْعُصْبَاءُ، نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! فَقَالَتْ: إِنَّهَا نَذَرْتُ أَنْ نَجَّاهَا اللَّهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَّتْهَا.

فَأَتُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! بِشْتَا جَزَمَتَا! نَذَرْتُ لِلَّهِ أَنْ نَجَّاهَا اللَّهُ عَلَيْهَا لَتَنْحَرَّتْهَا، لَا وَفَاءَ لِنَذْرِي فِي مَعْصِيَةٍ، وَلَا فِيهَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ»، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ حُجْرٍ «لَا نَذْرٌ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ».

[مسلم في النذر (١٦٤١)، ومسنَد أحمد ٣٣/١٢٤-١٢٥ رقم ١٩٨٩٥].

وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَقْبَلْتُ أُمْرَأَةَ الْغِفَارِيِّ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ إِبِلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ فَأَخْبَرْتُهُ الْحَبْرَ، فَلَمَّا فَرَعْتُ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ نَذَرْتُ لِلَّهِ أَنْ أَنْحَرَهَا إِنْ نَجَّانِي اللَّهُ عَلَيْهَا، قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «بِئْسَ مَا جَزَيْتَهَا أَنْ تَحْمَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهَا وَنَجَّاكِ بِهَا ثُمَّ تَنْحَرِيْنَهَا، إِنَّهُ لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيهَا لَا تَمْلِكِينَ، إِنَّمَا هِيَ نَاقَةٌ مِنْ إِبِلٍ، فَارْجِعِي إِلَى أَهْلِكَ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ».

وَالْحَدِيثُ عَنْ أُمْرَأَةِ الْغِفَارِيِّ وَمَا قَالَتْ وَمَا قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْبُصْرِيِّ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٨٥].

وَقَالَ الْوَاقِدِيُّ: قَالُوا: وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَقْبَلَتْ أُمْرَأَةُ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَلَى نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْقُصُوءِ، وَكَانَتْ فِي السَّرْحِ، فَكَانَ فِيهَا جَعْلٌ أَبِي جَهْلٍ، فَكَانَ مِمَّا تَخْلُصُهُ الْمُسْلِمُونَ، فَدَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَتْهُ مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي نَذَرْتُ إِنْ نَجَّانِي اللَّهُ عَلَيْهَا أَنْ أَنْحَرَهَا فَأَكُلُ مِنْ كِبْدِهَا وَسَنَامِهَا، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «بِئْسَ مَا جَزَيْتَهَا أَنْ تَحْمَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهَا وَنَجَّاكِ ثُمَّ تَنْحَرِيْنَهَا، إِنَّهُ لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيهَا لَا تَمْلِكِينَ، إِنَّمَا هِيَ نَاقَةٌ مِنْ إِبِلٍ، فَارْجِعِي إِلَى أَهْلِكَ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ».

[المغازي للواقدي ٢/٥٤٨].

تَقْسِيمُ الْفُتَيِّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَتَقَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ فِي كُلِّ مِائَةِ رَجُلٍ جَزُورًا، وَأَقَامُوا عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَافِلًا حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ. [السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٨٥].

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَبِي الرَّجَالِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حَزْمٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ مَعْمَرٍ قَالَ: أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذِي قَرْدٍ يَوْمًا وَلَيْلَةً يَتَحَسَّبُ (التحسب: الاستخبار) الْحَبْرَ، وَقَسَمَ فِي كُلِّ مِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ جَزُورًا يَنْحَرُونَهَا، وَكَانُوا خَمْسِمِائَةً، وَيُقَالُ: كَانُوا سَبْعِمِائَةً. [المغازي للواقدي ٢/٥٤٦].

وهذه الغزوة تعتبر من أكبر الغزوات التأديبية التي يقودها النبي ﷺ بنفسه ضد أعراب نجد بعد غزوة الأحزاب وبنى قريظة وقبل غزوة خيبر. [صلح الحديبية لباشملي ٤١].

كرم سعد بن عبادَةَ وطلحة بن عبيد الله

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: وَأَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ﷺ فِي ثَلَاثِائَةٍ مِنْ قَوْمِهِ يَحْرُسُونَ الْمَدِينَةَ خَمْسَ لَيَالٍ حَتَّى رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ، وَبَعَثَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَحْمَالٍ ثَمَرٍ وَبِعَشْرَةِ جَزَائِرٍ بِذِي قَرْدٍ.

وَكَانَ فِي النَّاسِ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ رضي الله عنه عَلَى فَرَسٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ الْوَرْدُ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي قَرَّبَ الْخُزْرَ وَالْتَمَرَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا قَيْسُ! بَعَثَكَ أَبُوكَ فَارِسًا، وَقَوَّى الْمَجَاهِدِينَ، وَحَرَسَ الْمَدِينَةَ مِنَ الْعَدُوِّ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ سَعْدًا وَآلَ سَعْدٍ!». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعْمَ الْمَرْءُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ»، فَتَكَلَّمَتْ الْخُزُرُجُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ بَيْنَتَنَا، وَسَيِّدَنَا، وَابْنُ سَيِّدِنَا، كَانُوا يُطْعَمُونَ فِي الْمَحَلِّ وَيَحْمِلُونَ الْكُلَّ (العيال)، وَيَقْرُونَ الصَّيْفَ وَيَعْطُونَ فِي النَّائِبَةِ، وَيَحْمِلُونَ عَنِ الْعَشِيرَةِ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خِيَارُ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا فُقِهُوا فِي الدِّينِ».

وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي هَمٍّ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تُسَمِّي بَنِي هَمٍّ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا وَلَكِنْ يَشْرِيهَا بَعْضُكُمْ فَيَتَصَدَّقُ بِهَا»، فَاشْتَرَاهَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدٍ اللَّهُ فَتَصَدَّقَ بِهَا. [المغازي للواقدي ٢/ ٥٤٧].

عودة النبي ﷺ إلى المدينة:

قَالَ سَلَمَةُ بْنُ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه: أَغَارَ عُسَيْبَةُ كَيْلَةَ الْأَرْبَعَاءِ لثَلَاثَ حُلُوفٍ مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ سِتٍّ، وَعَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي طَلَبِهِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، فَعَبْنَا خَمْسَ كَيْالٍ وَرَجَعْنَا كَيْلَةَ الْإِثْنَيْنِ. [المغازي للواقدي ٢/ ٥٣٧].

هدية لرسول الله ﷺ:

قال الواقدي: حَدَّثَنِي فَايِذُ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ جَدِّتِهِ سَلَمَى، قَالَتْ: نَظَرْتُ إِلَى لَفُوحٍ (ناقة لقوح: أي غزيرة اللبن) عَلَى بَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُقَالُ لَهَا السَّمَرَاءُ، فَعَرَفْتُهَا، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: هَذِهِ لَفُوحُكَ السَّمَرَاءُ عَلَى بَابِكَ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْتَبْشِرًا، وَإِذَا رَأْسُهَا بِيَدِ ابْنِ أَخِي عُسَيْبَةَ، فَلَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَرَفَهَا ثُمَّ قَالَ: أَيَمَّ بِكَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهْدَيْتَ لَكَ هَذِهِ اللَّفُوحَةَ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَبَضَهَا مِنْهُ، ثُمَّ أَقَامَ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِ أَوَاقٍ مِنْ فِصَّةٍ، فَجَعَلَ يَسْحُطُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُبِيهُ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ إِبِلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ وَهُوَ سَاخِطٌ عَلَيَّ».

ثُمَّ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ ثُمَّ صَعِدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَهْدِي لِي النَّاقَةَ مِنْ إِبِلِي أَعْرِفُهَا كَمَا أَعْرِفُ بَعْضَ أَهْلِي، ثُمَّ أُبِيهُ عَلَيْهَا فَيُظَلُّ يَسْحُطُ عَلَيَّ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ إِلَّا أَقْبَلَ هَدِيَّةً إِلَّا مِنْ قُرَيْشٍ أَوْ أَنْصَارِيٍّ - وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَقُولُ: أَوْ نَفَقِيٍّ أَوْ دَوْسِيٍّ».

[المغازي للواقدي ٢/ ٥٤٨-٥٤٩].

شعر حسان رضي الله عنه في ذي قرد:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ بِمَا قِيلَ مِنَ الشَّعْرِ فِي يَوْمِ ذِي قَرْدٍ قَوْلُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه:

- لَوْلَا الَّذِي لَأَقَتْ وَمَسَّ نُسُورَهَا
لَلْقَيْنَكُمْ يَحْمِلُنْ كُلُّ مُدَجِّجٍ
وَلَسَرَّ أَوْلَادَ اللَّقِيْطَةِ أَنَّنَا
كُنَّا ثِمَانِيَّةً وَكَانُوا جَحْفَلًا
كُنَّا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ
كَلاَّ وَرَبِّ الرَّاqِصَاتِ إِلَى مَنَى
حَتَّى نُبِيلَ الْخَيْلَ فِي عَرَصَاتِكُمْ
رَهْوًا بِكُلِّ مَقْلَصٍ وَطِمْرَةٍ
أَفْنَى دَوَابِرَهَا وَلَا حِثْوَنَهَا
فَكَذَآكَ إِنَّ جِيَادَنَا مَلْبُونَةٌ
وَسُيُوفُنَا بِيضُ الْحَدَائِدِ تَحْتَلِي
أَخَذَ إِلَآهُ عَلَيْهِمْ حَرَامِهِ
كَانُوا بِدَارٍ نَاعِمِينَ فَبَدَّلُوا
- بِجَنُوبِ سَايَةِ أَمْسٍ فِي التَّقْوَادِ^(١)
حَامِي الْحَقِيقَةِ مَا جِدَ الْأَجْدَادِ^(٢)
سِلْمٌ غَدَاةَ فَوَارِسِ الْمُقْدَادِ^(٣)
لَجَبًا فَشُكُّوا بِالرَّمَا حِ بَدَادِ^(٤)
وَيُقَدِّمُونَ عَنَانَ كُلِّ جَوَادِ
يَقْطَعْنَ عَرَضَ نَحَارِمِ الْأَطْوَادِ^(٥)
وَنُؤُوبُ بِالْمَلَكَاَتِ وَالْأَوْلَادِ^(٦)
فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ عَطْفَنَ رَوَادِي^(٧)
يَوْمٌ تُقَادُ بِهِ وَيَوْمٌ طَرَادِ^(٨)
وَالْحَرْبُ مُشْعَلَةٌ بِرِيحِ غَوَادِ^(٩)
جُنَنَ الْحَدِيدِ وَهَامَةَ الْمُرْتَادِ^(١٠)
وَلِعِزَّةِ الرَّحْمَنِ بِالْأَسْدَادِ^(١١)
أَيَّامَ ذِي قَرْدٍ وَجُوءَ عِبَادِ^(١٢)

(١) أضمر ذكر الخيل، وإن لم يتقدم لها ذكر؛ لأن الكلام يدل عليها، والنسور: ما يكون في باطن حافر الدابة، مثل الحصى والنوى. ساية: موضع.

(٢) المدجج: الكامل السلاح. الماجد: الشريف.

(٣) أولاد اللقيطة: الملتقطون الذين لا يعرف آبائهم. السلم: الصالح.

(٤) الجحفل: الجيش الكثير. اللجب: الكثير الأصوات، ولا يكون إلا عن كثرة عدده. شكوا: طعنوا. بداد: من التبدد، وهو التفرق.

(٥) الراقصات: الإبل، والرقص: ضرب من مشيها. الأطواد: الجبال المرتفعة. المخارم: الطرق بين الجبال.

(٦) نبيل: نجعلها تبول. العرصات: جمع عرصة، وهي وسط الدار. نؤوب: نرجع. الملكات: النساء يسبين في الحرب.

(٧) الرهو: المشي في سكون. مقلص: مشمر. طمرة: فرس وثابة سريعة. المعترك: موضع الحرب. رواد: قال أبو ذر: من رواه بفتح الراء فمعناه: سرعات، من ردى الفرس يردي، إذا أسرع، ومن رواه بكسر الراء، فهو من المشي الرويد، وهو الذي فيه فتور.

(٨) دوابرها: أواخرها. لاح: غير وأضعف. متونها: ظهورها. الطراد: مطاردة الأبطال بعضهم بعضًا.

(٩) ملبونة: تسقي اللبن. مشعلة: موقدة.

(١٠) تحتلي: تقطع. الجنن: جمع جنة، وهي السلاح. المرتاد: الطالب الحرب.

(١١) الأسداد: جمع سد، وهو ما يسد به على الإنسان فيمنعه عن وجهه.

(١٢) عباد: أي عبيد.

غَضِبُ سَعْدٍ ﷺ عَلَى حَسَّانَ ﷺ، وَمُحَاوَلَةُ حَسَّانَ اسْتِرْضَاءَهُ:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَلَمَّا قَالَهُ حَسَّانُ غَضِبَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ، وَحَلَفَ أَنْ لَا يَكَلِّمَهُ أَبَدًا، قَالَ: انْطَلَقَ إِلَى خَيْلِي وَفَوَارِسِي فَجَعَلَهَا لِلْمُقَدَّادِ! فَأَعْتَدَرَ إِلَيْهِ حَسَّانُ ﷺ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا ذَاكَ أَرَدْتُ، وَلَكِنَّ الرُّوِيَ وَافَقَ اسْمَ الْمُقَدَّادِ، وَقَالَ آيَاتًا يُرْضِي بِهَا سَعْدًا:

إِذَا أَرَدْتُمْ الْأَشَدَّ الْجَلْدَا أَوْ ذَا غِنَاءٍ فَعَلَيْكُمْ سَعْدَا

سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ لَا يَهْدُ هَذَا

فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ سَعْدٌ وَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا.

شِعْرٌ آخَرُ لِحَسَّانَ ﷺ فِي يَوْمِ ذِي قَرْدٍ:

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ﷺ فِي يَوْمِ ذِي قَرْدٍ:

بِأَنْ سَوْفَ يَهْدِمُ فِيهَا قُصُورًا ^(١)
وَقُلْتُمْ سَنَنْعُمُ أَمْرًا كَبِيرًا
وَأَنْتَ لِلْأَسَدِ فِيهَا زَيْرًا ^(٢)
وَلَمْ يَكْشِفُوا عَنْ مُلِطٍ حَصِيرًا ^(٣)
أَحْبَبَ بِذَلِكَ إِلَيْنَا أَمِيرًا
وَيَتْلُو كِتَابًا مُضِيًّا مُنِيرًا

أَظُنُّ عَيْنَةً إِذْ زَارَهَا
فَأُكْذِبَتْ مَا كُنْتُ صَدَّقْتُهُ
فَعَفَتِ الْمَدِينَةُ إِذْ زُرَّتْهَا
فَوَلَّوْا صِرَاعًا كَشَدَّ النَّعَامِ
أَمِيرٌ عَلَيْنَا رَسُولُ الْمَلِكِ
رَسُولٌ نَصَدَّقُ مَا جَاءَهُ

شِعْرٌ كَعْبٍ ﷺ فِي يَوْمِ ذِي قَرْدٍ:

وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ فِي يَوْمِ ذِي قَرْدٍ لِلْفَوَارِسِ:

عَلَى الْخَيْلِ لَسْنَا مِثْلَهُمْ فِي الْفَوَارِسِ
وَلَا نَشْنِي عِنْدَ الرِّمَاحِ الْمَدَاعِيسِ ^(٤)
وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَبْلَحِ الْمُشَاوِسِ ^(٥)
بِضَرْبٍ يُسَلِّي نَخْوَةَ الْمُتَقَاعِيسِ ^(٦)

أَتَحْسَبُ أَوْلَادَ اللَّفِيطَةِ أَنْتَا
وَأَنَا أَنْاسٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سَبَّةً
وَأَنَا لِنَقَرِي الضَّيْفَ مِنْ قَمْعِ الذَّرَا
نَرُدُّ كَهْمَةَ الْمُعْلَمِينَ إِذَا انْتَخَوْا

(١) زارها: أي المدينة.

(٢) عفت: كرهت. أنتست: أحسست ووجدت.

(٣) الشد: الجري، ولم يكشفوا عن ملط حصيرًا، أي لم يصيبوا بعيرًا، ولا كشفوا عنه حصيرًا، ويعني بالحصير: ما يكتف به حول الإبل من عيدان الخطيرة. الملط: من قولهم لطت الناقة وألطت بذنبها: إذا أدخلته بين رجليها.

(٤) المداعس: المطاعن، يقال: دعه بالرمح، إذا طعنه.

(٥) القمع: جمع قمعة، وهي أعلى سنام البعير. الذرا: الأسنمة. الأبلح: المتكبر والمشاورس، الذي ينظر بمؤخر عينه نظر المتكبر.

(٦) انتخبوا: تكبروا. المتقاعس: الذي لا يلين ولا ينقاد.

بِكُلِّ فَتًى حَامِي الْحَقِيقَةِ مَا جِدَ
يَلُودُونَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ وَتِلَادِهِمْ
فَسَائِلُ بَنِي بَدْرِ إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ
إِذَا مَا خَرَجْتُمْ فَاصْدُقُوا مَنْ لَقِيتُمْ
وَقُولُوا زَلَّلْنَا عَنْ مَخَالِبِ خَادِرٍ
كَرِيمٍ كَسَرَ حَانَ الْعَصَاةِ مُحَالِسٍ^(١)
بِيضٍ تَقْدُّ أَلْهَامَ تَحْتَ الْقَوَانِسِ^(٢)
بِمَا فَعَلَ الْإِخْوَانُ يَوْمَ التَّمَارِسِ^(٣)
وَلَا تَكُنْتُمْ وَأَخْبَارَكُمْ فِي الْمَجَالِسِ
بِهِ وَحَرٌّ فِي الصَّدْرِ مَا لَمْ يُكْمَرْسِ^(٤)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَتَشَدِّي بَيْتَهُ «وَأَنَا لَنَقْرِي الضَّيْفَ» أَبُو زَيْدٍ.

شِعْرُ شَدَادٍ لِعَيْيَنَتِهِ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ شَدَادُ بْنُ عَارِضٍ الْجُسَمِيُّ، فِي يَوْمِ ذِي قَرْدٍ لِعَيْيَنَتِهِ بْنِ حِصْنٍ وَكَانَ عَيْيَنَةُ بْنُ حِصْنٍ يُكْنَى بِأَبِي مَالِكٍ:

فَهَلَّا كَرَرْتَ أَبَا مَالِكٍ
ذَكَرْتَ الْإِيَابَ إِلَى عَسَجِرٍ
وَطَمَنْتَ نَفْسَكَ ذَا مَبِيعَةٍ
إِذَا قَبَضْتَهُ إِلَيْكَ الشَّمَا
فَلَمَّا عَرَفْتُمْ عِبَادَ الْإِلَهِ
عَرَفْتُمْ فَوَارِسَ قَدْ عَوَّدُوا
إِذَا طَرَدُوا الْخَيْلَ تَشْقَى بِهِمْ
فَيَعْتَصِمُوا فِي سَوَاءِ الْمَقَا
وَحَيْلُكَ مُدْبِرَةٌ تَقْتُلُ
وَهَيْهَاتَ قَدْ بَعْدَ الْمُقْتُلِ^(٥)
مَسَحَ الْفَضَاءَ إِذَا يُرْسَلُ^(٦)
لُ جَاشَ كَمَا اضْطَرَمَّ الْمَرْجُلُ^(٧)
لَهُ لَمْ يَنْظُرِ الْآخِرَ الْأَوَّلُ^(٨)
طَرَادَ الْكُفَاةِ إِذَا أَسْهَلُوا^(٩)
فَضَاحًا وَإِنْ يُطَرَّدُوا يَنْزِلُوا^(١٠)
مِ بَالِيضٍ أَخْلَصَهَا الصَّيْقَلُ^(١١)

(١) السرحان: الذئب. الغصاة: شجرة، وجمعها غصى، ويقال: إن أخبت الذئاب ذئاب الغصى.

(٢) يلودون: يمتنعون ويدفعون. التلاد: المال القديم. تقد: تقطع. القوانس: أعالي بيض الحديد، الواحدة قونسة.

(٣) التمارس: المضاربة في الحرب والمقاربة.

(٤) خادر: أي أسد خادر، وهو الذي يلزم أجمته. الوحر: الخقد.

(٥) الإياب: الرجوع. عسجر: موضع قرب مكة. المقتل: الرجوع.

(٦) ذو مبيعة: فرس ذو نشاط. المسح: الكثير الجري. الفضاء: المتسع من الأرض.

(٧) جاش: تحرك وعلا. اضطرم: انتهب، ويروى: اضطرب.

(٨) لم ينظر: لم ينتظر.

(٩) الكفاة: الشجعان. أسهلوا: نزلوا السهل.

(١٠) الفضاح: الفاضحة.

(١١) أخلصها الصيقل: أي أزال ما عليها من الصدأ.

العرض الأدبي للغزوة^(١):

سلمة بن الأكوع ﷺ يواجه فرسان المشركين بمفرده

ويستخلص متاع المسلمين

غزوة ذي قرد بعد الحديبية:

هذه بطولة فذة عجيبة نادرة من الصحابي الجليل سلمة بن الأكوع ﷺ، حيث أغارت جموع من المشركين من غطفان بقيادة عيينة بن حصن الفزاري على إبل وماشية للمسلمين، كانت في منطقة (الغابة) القريبة من المدينة، واستاقوها أمامهم، وعلم بذلك سلمة بن الأكوع ﷺ، فلحق بهم، واستخلص منهم كل ما نهبوه من إبل وماشية ومتاع، وكان يتبعهم بمفرده، وهو يمشي على قدميه!

وتُسمى هذه العملية الجهادية الفذة التي قام بها هذا الصحابي بمفرده (غزوة ذي قرد)، وسميت بذلك لأن الرسول ﷺ لما لحق بالجيش، جلس مع أصحابه عند عين ماء في المنطقة، تسمى (ذوقرد) على مسافة يوم من المدينة مما يلي بلاد غطفان.

وكانت هذه العملية الجهادية الجريئة بعد عودة الرسول ﷺ من صلح الحديبية، في نهاية السنة السادسة من الهجرة، وقبيل خروجه بالصحابة إلى غزوة خيبر، على الراجح عند علماء الحديث والسيرة والتاريخ.

وقد حدث سلمة بن الأكوع ﷺ نفسه حديث هذه العملية الجهادية، ورواه عنه ابنه (إياس).

بدأ سلمة ﷺ الحديث من خروجه مع رسول الله ﷺ إلى الحديبية، ولخص مجمل أحداث الحديبية، ثم فصل أحداث غزوة (ذي قرد)، ثم تابع حديثه محدثاً عن خروجه مع رسول الله ﷺ إلى غزوة خيبر، بعد غزوة ذي قرد مباشرة.

وأحسن رواية لأحداث وتفاصيل غزوة ذي قرد تلك التي أوردها الإمام مسلم في صحيحه، في باب (غزوة ذي قرد) من كتاب الجهاد والسير من صحيحه.

وسنأخذ رواية هذه الغزوة من صحيح مسلم، ونضيف لذلك بعض الإضافات والتفصيلات من السيرة النبوية لابن إسحاق، ودلائل النبوة للبيهقي، ونتصرف في رواية الأحداث وسردها، لتوضيح الأمر للقارئ، وإحسان العرض الحي المؤثر، كما فعلنا في عرض العمليات الجهادية في هذا الكتاب.. والله المستعان!

(١) صور من جهاد الصحابة ﷺ للخالدي ١٥٥-١٧٩، وقد عرض فضيلته الصورة من خلال حديث مسلم عن غزوة بداية من الحديث عن الحديبية حتى خيبر.

سلمة بن الأكوع مع رسول الله ﷺ في الحديبية:

خرج سلمة بن الأكوع مع رسول الله ﷺ إلى العمرة، وكان عدد الصحابة الخارجين مع رسول الله ﷺ محرمين بالعمرة ألفاً وأربعمائة صحابي.

ولما وصلوا الحديبية قريباً من مكة، علموا أن قريشاً اجتمعت في مكة ومنعتهم من دخولها، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يتزلوا في الحديبية، إلى أن يتم بحث الأمر مع قريش! كان الماء في بئر الحديبية قليلاً، لا يكاد يروي خمسين شاة، فكيف سيروي ألفاً وأربعمائة صحابي مع إبلهم وخيولهم ومواشيهم! ويكفيهم لشربهم ووضوئهم وغسلهم؟ دعا الرسول ﷺ ربه، و(تفل) في بئر الحديبية، فأجرى الله فيها معجزة باهرة، وأنبع فيها الماء بقدرته ﷻ، فامتلات وكفت المسلمين طيلة أيام إقامة المسلمين بالحديبية.

وجرت اتصالات عديدة بين رسول الله ﷺ وقريش، يرسل رسولاً من طرفه ويرسلون هم رسولاً من طرفهم، ولا يعنينا هنا ذكر تفاصيل تلك الاتصالات.^(١)

وأرسل رسول الله ﷺ عثمان بن عفان مع طرفه موفداً إلى قريش؛ ليخبرهم بمهمته، ويعرفهم على قصده، وهو أنه جاء معتمراً، ولم يأت مقاتلاً، فحبست قريش عثمان ﷺ! ووصلت الإشاعة إلى المسلمين أن قريشاً قتلت عثمان ﷺ!

عند ذلك قال رسول الله ﷺ: لن نبرح حتى نناجز القوم! ودعا رسول الله ﷺ المسلمين إلى مبايعته، لحرب قريش، أخذاً بثأر عثمان ﷺ، وكان رسول الله ﷺ جالساً تحت الشجرة الضخمة فوق بئر الحديبية، فسميت تلك البيعة بيعة الرضوان، حيث رضي الله عن الصحابة المبايعين تحت الشجرة، وهذا في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح].

كل الصحابة الذين كانوا في الحديبية بايعوا رسول الله ﷺ، ولم يتخلف إلا واحد كان من المنافقين، هو (الجد بن قيس) أخو بني سلمة!

سلمة بن الأكوع يبايع الرسول ﷺ ثلاث مرات:

الصحابي الوحيد الذي بايع رسول الله ﷺ في الحديبية أكثر من مرة هو سلمة بن الأكوع! لما دعا رسول الله ﷺ أصحابه إلى البيعة تحت الشجرة، وقف سلمة ﷺ في مقدمة الصحابة، فكان أول صحابي يبايعه.

وسبق سلمة بن الأكوع الصحابة إلى البيعة يدل على طبيعته الجريئة القوية، حيث كان حريصاً على المبادرة إلى كل خير وفضل، وسبق إخوانه إلى الجهاد والمواجهة!

(١) سنذكر خلاصة تلك الاتصالات والمراسلات عند حديثنا عن (مجموعة أبي بصير) [بعد صالح الحديبية].

وقف الصحابة رضي الله عنهم مصطفى بن يعقوب رسول الله ﷺ، ولما بايعوا، وقام رسول الله ﷺ لأمر، وكان وسط الناس رأى سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، وقال له: بايع يا سلمة!

فقال سلمة: قد بايعتك يا رسول الله!

قال: بايع أيضًا!

فمد سلمة رضي الله عنه يده، وبايع رسول الله ﷺ مرة ثانية!

وذهب سلمة رضي الله عنه إلى بعض شأنه بين الصحابة، ثم مر بالنبي ﷺ، فرآه (عزلاً) ليس معه سلاح،

فناول رسول الله ﷺ (ترساً) يترس به إذا نشبت معركة مع المشركين!

سار سلمة رضي الله عنه بين الصحابة، ثم قابله رسول الله ﷺ، فقال: ألا تباعيني يا سلمة؟

فقال سلمة: قد بايعتك يا رسول الله في أول الناس، وفي أوسط الناس!

فقال له ﷺ: بايع أيضًا.

فباعه سلمة رضي الله عنه المرة الثالثة!

إن الرسول ﷺ يعلم أن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قد بايع، ومع هذا طلب منه البيعة مرة ثانية وثالثة،

وهو الصحابي الوحيد الذي خصه بهذا، وهذا من مناقبه وفضائله، التي اختص وتميز بها عن باقي

الصحابة رضي الله عنهم!

ولعل لهذه البيعة التي تكررت ثلاث مرات صلة بعملية الجهادية الرائعة التي سيقوم بها وحده ضد

المشركين، عند قدومهم المدينة!

وقابل رسول الله ﷺ سلمة رضي الله عنه مرة أخرى على أرض الحديدية فلم يجد معه الترس التي أعطاه إياها!

وفوجئ بذلك، وقال له: يا سلمة! أين حَجَفَتِكَ أو دَرَقَتِكَ التي أعطيتك؟

قال سلمة رضي الله عنه: يا رسول الله! لقيني عمي عامر بن الأكوع عزلاً ليس معه سلاح، فأعطيت إياها!

أي إن سلمة رضي الله عنه خص عمه عامراً بتلك الترس رغم حاجته إليها، وهذا من محبته لعمه، وكرمه

وجوده، حيث آثره بالسلاح الذي أعطاه إياه رسول الله ﷺ!

أعجب رسول الله ﷺ بتصرف سلمة رضي الله عنه، وإيثاره عمه على نفسه، وضحك ﷺ مظهرًا رضاه بفعله،

وقال له: إنك يا سلمة كالذي قال: اللهم أبغني حبيباً هو أحب إلى من نفسي!

وجرت المفاوضات بين رسول الله ﷺ وبين مندوب قريش سهيل بن عمرو، وانتهت بتوقيع صلح

الحديبية.

ولما تم توقيع صلح الحديبية اختلط المسلمون بالمشركين في منطقة الحديبية، وذهب بعض المسلمين

يسترخون تحت الأشجار.

ابن الأكوع ﷺ يأسر أربعة من المشركين:

وذهب سلمة بن الأكوع ﷺ يقيّل تحت شجرة، وبعد أن نظف تحتها وأزال الشوك والأذى اضطجع مستريحاً، وبعد قليل أتى أربعة من مشركي مكة فجلسوا في ظل الشجرة، بجانب سلمة ﷺ.

وصار الأربعة يتحدثون فيما بينهم، وسلمة ﷺ يسمع حديثهم، فوقعوا في رسول الله ﷺ، وتكلموا عنه بسوء، فتأذى سلمة ﷺ من كلامهم كثيراً، وأبغضهم، لكنه لا يقدر على أن يقتلهم أو يقتلهم؛ لأنه وُقِعَ صلح الحديبية مع المشركين!

وبما أنه لا يقدر على قتالهم بسبب الصلح فلا أقل من يفارقهم ولا يجلس معهم! غادرهم، وتوجه إلى شجرة أخرى، اضطجع تحتها! أما هم فقد علّقوا سلاحهم على الشجرة، ثم ناموا.

وبعد فترة قصيرة، وبينما كان المسلمون يستريحون تحت الأشجار في المنطقة اعتدت مجموعة من المشركين على أحد المسلمين، بينما كان مضطجعاً وحده تحت شجرة، فقتلوه!

فنادى المنادي: يا للمهاجرين! لقد قتل المشركون (ابن زُييم)!

ولما سمع سلمة ﷺ المنادي، وعلم أن المشركين هم الذين هم بدأوا بالاعتداء على المسلمين، تحرك فوراً، وقام مسرعاً، واستل سيفه، وتوجه نحو المشركين الأربعة النائمين تحت شجرته الأولى.

نظر إليهم فوجدهم مازالوا نائمين، وما زال سلاحهم معلقاً على الشجرة، فأخذ سلاحهم وجعل سلاحه بإحدى يديه، ثم شهر سيفه بيده الأخرى، ثم صاح بهم!

استيقظ المشركون الأربعة، وفوجئوا بسلاحهم بيد سلمة ﷺ، وفوجئوا بسيفه صلتاً بيده، فلم يستطيعوا فعل شيء!

صاح فيهم سلمة ﷺ قائلاً: والذي كرم وجه محمد رسول الله ﷺ، لا يرفع أحد منكم رأسه، إلا ضربت الذي فيه عيناه! قوموا، سيروا أمامي، وتعالوا إلى رسول الله ﷺ ليحكم فيكم.

قام الأربعة، وساروا (رهائن) أمام سلمة ﷺ، وساقهم أذلاء إلى رسول الله ﷺ وجعلهم بين يديه! وبعد فترة قصيرة جاء عامر بن الأكوع - عم سلمة ﷺ - يسوق رجلاً مشاركاً من قريش اسمه

(مكرز)، وهو راكب فرسه، ويسوق معه سبعين رجلاً آخرين من المشركين، وسلمهم لرسول الله ﷺ! وإذا بعم سلمة ﷺ أكثر شجاعة منه، فإذا كان سلمة ﷺ قد أتى بأربعة مشركين رهائن، فإن عمه

عامراً ﷺ قد أتى بسبعين رجلاً ماشياً، ومعهم فارس راكب فرسه!

وهرب باقي المشركين من منطقة الحديبية، وأسر المسلمون خمسة وسبعين رجلاً مشركاً، أسرهم سلمة وعمه عامر وحدهما ﷺ.

فعفا رسول الله ﷺ عن المشركين الرهائن، وأطلق سراحهم، وقال: دعوهم يكن عليهم بدء الفجور وثناه، وعليهم إثم أوله وآخره، وابتدائه وانتهائه!
وذلك لحرص رسول الله ﷺ على إنفاذ صلح الحديبية؛ لأن مصلحة المسلمين متحققة في إنفاذه، وقد اعتبره الله فتحاً مبيناً!

وأُنزل الله تعالى في هذه الحادثة قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبَكُمْ مِنْهُم مَعَرَّةٌ بَغِيرَ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ، مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٢٥﴾ [الفتح].

وبعد ذلك عاد رسول الله ﷺ بأصحابه إلى المدينة على أن يؤدوا (عمرة القضاء) في نفس هذا الموعد من العام التالي!

ابن الأكوع في طريق العودة من الحديبية:

وفي طريق العودة نزل رسول الله ﷺ بأصحابه في أسفل جبل مرتفع، وخلف الجبل منازل (بني لحيان) وهم قبيلة عربية معادية للمسلمين.

وخشي رسول الله ﷺ أن يهجم بنو لحيان على المسلمين ليلاً وهم نائمون، فندب بعض المسلمين أن يصعدوا الجبل ليحرسوا المسلمين، والجبل مرتفع وصعوده شاق مرهق!

استغفر رسول الله ﷺ لمن صعد الجبل، وأثار هذا حماسه سلمة بن الأكوع، فصعد الجبل مرتين أو ثلاثاً!

وهذا من علو همته، وقوة نشاطه، ولياقة بدنه.

ولما وصل الرسول ﷺ مشارف المدينة عائداً بأصحابه من الحديبية، وقعت حادثة خطيرة مفاجئة، كان لسلمة بن الأكوع بطولة فذة فيها!

كان لرسول الله ﷺ مجموعة من الإبل (لقاحاً) - واللقاح هي الإبل ذوات الألبان، التي يجلبها المسلمون ويشربون ألبانها - وكانت هذه اللقاح ترعى في منطقة خضراء قريبة من المدينة تسمى (الغابة)، وكانت كثيفة الأشجار.

ولما وصل رسول الله ﷺ المدينة كانت عشرون لفحة - ناقة - لرسول الله ﷺ ترعى في منطقة الغابة.

الضراري يغير على سرح المسلمين في الغابة:

وفي الليل أغار عبد الرحمن بن عيينة بن حصن بن بدر الفزاري - ويسمى (حيب) أيضاً - بأربعين فارساً من بني فزارة الكافرين على لقاح رسول الله ﷺ في الغابة.

استاقوا اللقاح وكل ما وجدوه أمامهم للمسلمين في (الغابة) من ماشية ومتاع، وعادوا بذلك كله إلى (غطفان) - القبيلة العربية الكافرة!

ابن الأكوع ﷺ يخبر المسلمين ويلحق بالمغيرين:

وفي الصباح خرج سلمة بن الأكوع ﷺ، ومعه فرس لطلحة بن عبيد الله ﷺ (يُنَدِّيهِ) في الغابة، ومعه غلام لرسول الله ﷺ اسمه (رباح)، ولم يكن قد علم بما جرى للقاح والماشية التي أخذها الفزاريون الأربعة!

و(تندية) الفرس أن يوردها الماء، فتشرب قليلاً، ثم تترسل في المرعى، فترعى قليلاً، ثم ترد الماء قليلاً لتشرب، ثم ترد إلى المرعى لترعى قليلاً وهكذا!

ولما علم بسطو الفزاريين على اللقاح والماشية قال لرباح: يا رباح! خذ هذه الفرس، وأعدّها لطلحة بن عبيد الله ﷺ، وأخبر رسول الله ﷺ أن عبد الرحمن بن عبيدة قد أخذ اللقاح معه وولى هارباً، ومعه أربعون فارساً من قومه.

ثم صعد سلمة بن الأكوع ﷺ على (ثنية الوداع) - وهي مرتفع صغير مشرف على المدينة - ووجه وجهه نحو المدينة، ونادى بأعلى صوته قائلاً: يا صباحاه، يا صباحاه، يا صباحاه! وكان صوته عاليًا وصل إلى أذان أهل المدينة، فسمعوا الصوت، وعرفوا أنه صوت سلمة ﷺ، وأنه ينذرهم الخطر، ويخبرهم بما حدث للقاحهم وماشيتهم، ويطلب منهم الخروج في إثر الفزاريين، وقتالهم، واسترداد ما نهبوه وسطوا عليه.

الرسول ﷺ يشكل طليعة مجاهدة ثم يلحق الجيش بها:

توافد الفرسان على رسول الله ﷺ، يلبون نداء سلمة ﷺ، ويضعون أنفسهم تحت تصرف رسول الله ﷺ.

شكّل رسول الله ﷺ طليعة مجاهدة من ثمانية من الفرسان المجاهدين، وأمرهم أن يسرعوا للحاق بسلمة بن الأكوع ﷺ، ويقوموا بقتال ومواجهة الفزاريين السارقين.

والفرسان الثمانية هم: المقداد بن عمرو الكندي، الذي يقال له: المقداد بن الأسود فارس رسول الله ﷺ، وأبو قتادة الأنصاري: الحارث بن ربيعي، وعبد بن بشر الأشهلي، وسعد بن زيد الأشهلي، وأسيد بن حضير، وعكاشة بن محصن، ومحرز بن فضلة الأسدي، الذي يقال له: الأخرم الأسدي، ومعاذ بن معص ﷺ، وأمر عليهم سعد بن زيد الأشهلي، وأخبرهم أنه سيلحق بهم في الجيش، فخرجوا مجاهدين في سبيل الله.

ونادى رسول الله ﷺ بالخروج لطلب القوم السارقين، وتجمع الرجال الموجودون الجاهزون بين يديه، وأمر ﷺ على المدينة عبد الله بن أم كلثوم - الأعمى ﷺ، وخرج بالجيش لطلب الأعداء!

وهكذا صار المجاهدون ثلاث دفعات:

الدفعة الأولى: سلمة بن الأكوع وحده ﷺ، طليعة المجاهدين ومقدمتهم، الذي لحق بالأعداء قبل أن يصله المدد.

الدفعة الثانية: المجاهدون الفرسان الثمانية، كل على فرسه، بقيادة سعد بن زيد ﷺ، الذين لحقوا بسلمة ﷺ، وجاؤوا مددًا له!

الدفعة الثالثة: الجيش المجاهد بقيادة رسول الله ﷺ الذي خرج مددًا للفرسان الثمانية، وطالبًا للأعداء!

ابن الأكوع ﷺ يجري وحيداً خلف أربعين فارساً:

فلتنظر ما قام به سلمة ﷺ من بطولة جهادية عالية:

بعدما وقف على (ثنية الوداع) وصاح: يا صباحاه.. لحق بالأعداء الفزاريين، وكان (راجلاً) يعدو ويركض، وليس معه فرس! وكان عداءً سريعاً، يسابق الخيل.

خرج يعدو في إثر الأعداء كالسبع!.. فأدركهم!

لقد أخذوا اللقاح والماشية في الليل، وقطعوا مسافة طويلة خلال الشعاب والأودية، ولحق بهم سلمة

ﷺ وحيداً في الصباح، فأدركهم، كم كانت سرعته وهو يعدو ويركض على رجليه؟!!

ماذا تقول في شجاعة وبطولة وجرأة هذا الصحابي المجاهد ﷺ؟ وكيف يشتبك مع أربعين فارساً وحده؟

خرج سلمة بن الأكوع ﷺ في إثر الفرسان الفزاريين الأربعين في الصباح، يعدو على رجليه، ورآهم من بعيد، وهم يسوقون اللقاح والماشية.

اشتبك معهم فوراً، ورماهم بالنبال، وهو يرتجز ويقول:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

ومعنى (الرضع) اللثام يرضعون اللؤم رضاعة، فالיום يوم الانتقام منهم، والذي ينتقم منهم هو ابن الأكوع!

لحق ابن الأكوع ﷺ رجلاً منهم ووجه له سهمه - وكان سلمة ﷺ رامياً ماهراً - ورماه به، فاخترق السهم رحله إلى كتفه، ثم إلى كبده، فصرعه، ولما رماه بالسهم ارتجز قائلاً:

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

ابن الأكوع ﷺ يستخلص كل السرح من المغيرين:

فوجئ الفرسان الأعداء برجل يشتبك معهم، وهو وحيد، وماش على رجليه، لا يرهبهم ولا يخاف منهم!

استمر سلمة ﷺ يرميهم بسهامه، يصيب خيولهم أحياناً فيعقر بها ويقتلها، ويصيب فرسانهم أحياناً فيصرعهم أو يقتلهم!

وإذا رجع إليه فارس أو فارسان منهم (كَمَنَ) في أصل شجرة، وأمطرهم بوابل من سهامه، فيصرع من يصرع! ويعقر من خيولهم ما يعقر.

واستمرار هكذا، هم سائرون نحو بلاد (غطفان) يريدون أن ينجوا قبل أن يلحق بهم جيش المسلمين، وسلمة بن الأكوع ﷺ خلفهم وحده، يشتبك معهم في قتال، ويرميهم بالسهم والنبال! وصاروا يتخلصون من الإبل والماشية، يتركونها خلفهم، ويواصلون سيرهم وهروبهم!

ومروا بواد ضيق يلف جبلاً مرتفعاً، وصارت سهام سلمة ﷺ لا تصل إليهم بسبب تعرجات ومتحنيات الوادي الضيق، فلم يتركهم سلمة ﷺ، وإنما صعد على الجبل، وصار يُرديهم بالحجارة، يرميهم بها فتصيبهم، وتوقع بهم الجراح!

ورأى الفرسان الأربعون أنفسهم عاجزين عن مواجهة سلمة ﷺ، هم فرسان على خيولهم ومعهم أسلحتهم، وسلمة ﷺ وحده يعدو خلفهم راجلاً ويسابق خيلهم، ولا يملك إلا السهم والنبال، والحجارة يرميهم بها من أعلى الجبل!

اضطروا إلى التخلص من كل ما سطوا عليه من الإبل والماشية؛ لينجوا بأنفسهم، كما تخلصوا من (لقحة) يأخذها سلمة ﷺ ويتركها خلفه؛ ليأخذها المسلمون الذين وراءه، ويلحق بهم يرميهم بالسهم والنبال والحجارة.

استخلص سلمة ﷺ منهم اللقاح العشرين التي أخذوها، واستخلص منهم ثلاثين بُردة، وثلاثين رحاً وأمتعة أخرى كانوا انهبوها من (الغابة)، وكلما طرحوا شيئاً من هذه الأمتعة كان ابن الأكوع ﷺ يضع عليه (حجارة) لتكون علامة للمسلمين الذين وراءه فيأخذوه.

ولم يبق مع الفرسان الأربعين شيء مما أخذوه من المسلمين، وساروا في طريقهم نحو بلاد (غطفان) ناجين بأنفسهم.

ابن الأكوع ﷺ يتابع مواجهة الأعداء:

ولكن ابن الأكوع ﷺ لم يتوقف عن متابعتهم والاشتباك معهم، يرميهم بالسهم والنبال والحجارة، فيصيب منهم من يصيب، ويصرع منهم من يصرع، ويعقر من خيولهم ما يعقر!

كل هذا يفعله وحده! لأن الفرسان المجاهدين الثمانية ما زالوا خلفه، لم يدركوه، رغم سيرهم نحوه! سلمة بن الأكوع ﷺ وحده يقوم بأعمال عديدة تحتاج إلى مجموعة من الرجال: يعدو خلف الأعداء برجليه، ويمطرهم بسهامه ونباله، يجري خلفهم في الوادي، ويكمن منهم خلف الأشجار، ويصعد

الجبل ليرميهم بالحجارة، ثم ينزل عنه ويعدو خلفهم، ثم يأخذ الناقة التي يستخلصها ويجعلها خلفه في مأمن، ثم يأخذ البردة التي يحررها، ويضع عليها الحجر علامة! وهكذا.. يفعل هذا بهمة وقوة وحيوية وشجاعة لا يتوقف ولا يمل، ويستعلي على ما يصيبه من تعب وجهد ومشقة!

استمر على هذا من الصباح إلى ما بعد انتصاف النهار! أتى الأعداء على ممر ضيق بين جبلين، وهناك وجدوا مدداً لهم، كانوا من قبل أربعين فارساً يقودهم عبد الرحمن أو حبيب - بن عينة الفزاري، ووجدوا هناك الأب (عينة بن حصن بن بدر الفزاري) بانتظارهم مع عدد آخر من الرجال، فانضموا إليهم وصاروا مدداً لهم. هل يهرب هذا المدد سلمة بن الأكوع ﷺ؟ وهل يتوقف عن متابعتهم؟ كلا! إن شجاعته وجرأته تأبى عليه الخوف منهم أو التوقف عنهم! صحيح أنه استخلص منهم كل ما سطوا عليه وأخذوه من لقاح وماشية ومناخ، بحيث لم يعد بأيديهم شيء من ذلك، ولو توقّف عن متابعتهم لَمَّا وجد المدد بانتظارهم لما لامه على ذلك أحد!

اجتمع الفزاريون معاً، وجلسوا في مضيق الوادي بأسفل الجبل يتغنّون. ابن الأكوع ﷺ على قمة الجبل يهدد الأعداء: وحتى يكون ابن الأكوع ﷺ قريباً منهم نظر إلى جبل صغير بجانبهم، فارتقاه وصعد إلى قمته، فجلس عليها!

نظر إليه زعيم المجموعة (عينة بن حصن الفزاري) فاستغرب، وقال لجماعة: ما هذا الذي أرى على رأس الجبل؟

قالوا له: هذا رجل من أصحاب محمد، لقينا منه البرح والشدة، والله ما فارقنا منذ الغلس، حيث لحق بنا من قبيل شروق الشمس، وما زال يرمينا بالسهام والنبال والحجارة، حتى انتزع منا كل شيء كان بأيدينا مما أخذناه من لقاح وماشية وأمتعة المسلمين!

فوجئ عينة بهذا الكلام، فكيف يواجه رجلاً واحداً يعدو على رجليه أربعين فارساً مسلحاً على خيولهم، وكيف يغلبهم ويتترع كل ما بأيديهم، وهو بمفرده؟! قال لهم عينية: ليقم إليه أربعة منكم.

نقذ رجالاً أربعة أمر زعيمهم، وصعدوا الجبل، يطلبون ابن الأكوع ﷺ، ولما كانوا قريبين منه، بحيث يسمعون صوته ويفهمون كلامه صاح فيهم، فتوقفوا. قال لهم: هل تعرفوني من أنا؟

قالوا: أنا سلمة بن الأكوع أحد المسلمين المتبعين لرسول الله ﷺ، والذي كرم وجهه محمد ﷺ لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته وأخذته، ولا يستطيع أحد منكم أن يدركني، فلا تحاولوا أن تصعدوا إليّ، وعودوا من حيث جئتم!

فقال أحدهم: أنا أظن ذلك، وأن كلامك صحيح، وقد جربنا هذا منك! فعادوا من حيث أتوا، وأخبروا زعيمهم عيينة أنه لا قدرة لهم عليه! وبقي سلمة بن الأكوع ﷺ في موقعه الاستراتيجي على قمة الجبل، يراقب الموقف عن كثب، وبقي الفرسان الفزاريون في أسفل الوادي.

استشهاد الأخرم الأسدي ﷺ

وبعد فترة قصيرة رأى ابن الأكوع ﷺ فوارس رسول الله ﷺ الثمانية قادمين من بعيد، تسير خيولهم وسط الشجر.

كان في مقدمتهم الأخرم الأسدي - محرز بن نضلة الأسدي - يليه أبو قتادة الأنصاري - الحارث بن رباعي - ثم المقداد بن عمرو الكندي بن الأسدي ﷺ، ثم باقي الفرسان الخمسة. وكان الأخرم الأسدي متقدماً على إخوانه بمسافة، مستعداً للمعركة، جاهزاً للاشتباك مع الأعداء. وخشي عليه سلمة ﷺ أن يبدأ القتال مع الأعداء قبل وصول إخوانه الفرسان، وأن يتمكن الأعداء من قتله.

فأتاه، وأمسك بعنان فرسه، وقال له: يا أكرم! احذر الأعداء، ولا تقا تلهم الآن وانتظر حتى يلحق بك إخوانك، فإني أخشى أن يقتلوك! وكان الأخرم حريصاً على البدء بالمعركة، والهجوم على الأعداء، ولو تأخر وصول إخوانه الفرسان؛ لأنه كان راغباً في الشهادة، طالباً لها، حريصاً عليها!! وكان قبل يوم قد رأى رؤيا سارة، استبشر بها خيراً، وفرح لها كثيراً: رأى أن السماء فُرجت وفتحت له، ودخل السماء الدنيا، حتى انتهى إلى السماء السابعة، ثم انتهى إلى سدرة المنتهى! وهناك قيل له: هذا منزلك! ولما استيقظ عرض رؤياه على أبي بكر الصديق ﷺ، وكان من أحسن الصحابة تعبيراً للرؤيا، فقال له أبو بكر ﷺ: أبشر بالشهادة في سبيل الله! تناولها إن شاء الله!

ومنذ تلك الرؤيا والأخرم ﷺ يفكر بالشهادة ويحرص عليها، وها هي الفرصة مناسبة الآن، فالأعداء أمامه، والاشتباك معهم وشيك! ولذلك لم يستمع الأخرم ﷺ لتحذير سلمة ﷺ، وقال له: يا سلمة! إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق، وأن النار حق، فلا تحل بيني وبين الشهادة! استجاب سلمة ﷺ لرغبة الأخرم ﷺ؛ لأنه لاحظ أن الشهادة مهيمنة على نفسه وشعوره وكيانه، وخلّى بينه وبين الاشتباك مع الأعداء!

رأى عيينة بن حصن زعيم الأعداء الأخرم الأسدي ؓ قادماً على فرسه من بعيد، فكلف ابنه عبد الرحمن - اسمه الآخر حبيب - أن يقوم له ويقاتله، اشتبك الأخرم وعبد الرحمن، ووجه الأخرم ؓ ضربة قوية أصابت فرس عبد الرحمن فعقرتها وصرعتها وقضت عليها! ترك عبد الرحمن فرسه، ووجه ضربة قوية سريعة للأخرم ؓ! فأصابته في مقتل! فصرع الأخرم ؓ وسقط عن ظهر فرسه، ولقي الله شهيداً ؓ. وهكذا تحققت رؤياه التي رآها قبل يوم، ونال ما كان يتمناه.

تحول عبد الرحمن إلى فرس الأخرم بعد استشهاده؛ لأن فرسه عُقرت وماتت.

أبو قتادة الأنصاري ؓ يقتل قاتل الأسدي:

وما إن ركب عبد الرحمن الفزاري فرس الشهيد الأخرم ؓ حتى أدركه أبو قتادة - الحارث بن ربعي ؓ، فاشتبك معه فوراً، ووجه له طعنة شديدة، أصابته في مقتل، فسقط عبد الرحمن الفزاري عن الفرس قتيلاً! وهكذا أخذ أبو قتادة بثأر أخيه الشهيد الأخرم ؓ، فقتل قاتله فوراً. ونزل أبو قتادة ؓ عن فرسه، إلى جثة القتيل عبد الرحمن الفزاري، فغطاه ببرده، ليعلم المسلمون أنه هو الذي قتله، فيأخذ سلبه.

ودارت معركة بين الفرسان المجاهدين السبعة - كانوا ثمانية قبل استشهاد الأخرم الأسدي ؓ - وبين الأعداء الفزازيين، واشتبك أبو قتادة ؓ مع أحدهم - هو مسعدة بن حكمة - فضرِب مسعدة أبا قتادة، ووقعت ضربته على وجهه، فشجه، وسال دمه غزيراً، لكن الله أمكن أبا قتادة ؓ من قتله، فضرِب ضربة شديدة أصابته في مقتل، ففضى عليه.

ورأى عكاشة بن محصن ؓ عمرو بن أوبار وأباه، راكبين على بعير، فهجم عليهما، وقتلها معاً! وهكذا قُتل للمشرِكين أربعة: عبد الرحمن بن عيينة، ومسعدة بن حكمة، قتلها أبو قتادة ؓ، وعمرو بن أوبار وأبوه، قتلها عكاشة بن محصن ؓ، بينما استشهد من المسلمين مُحَرِّز بن نضلة - الأخرم الأسدي - ؓ! ولما رأى الأعداء قتلاهم في أرض المعركة ولوا هارين! أكثر من خمسين فارساً من المشركين يفرون من سبعة من فرسان الصحابة المجاهدين ؓ!

ابن الأكوع ؓ يلحق بالمغيبرين عند ذي قرد:

ولما ولى فرسان المشركين هارين على خيولهم، لحق بهم سلمة بن الأكوع ؓ، يعدو على رجليه، وساروا مسرعين، ولحق بهم سلمة ؓ مسرعاً، وقطعوا شِعَاباً وودياناً، وابتعدوا كثيراً عن الصحابة المجاهدين، وعن جيش رسول الله ﷺ.

ونظر سلمة ؓ خلفه فلم ير أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، ولا شيئاً من غبارهم! فعلم أنه ابتعد عنهم كثيراً! ومع ذلك لم يخف، واستمر يلاحق الفرسان الفزازيين المنهزمين!

وعند غروب الشمس، وصلوا إلى شعب، فيه ماء يقال له: (ذا قرد) - وباسمه سُمِّيت الغزوة (غزوة ذي قرد) - وكانوا عطاشًا من السير والجري، فأرادوا أن يتزلوا على الماء ليشربوا منه، ويسقوا خيولهم! ولكن أتى سلمة بن الأكوع ﷺ أن يُمكنهم من ذلك؟! هم على خيولهم يريدون النزول على الماء، وسلمة ﷺ يعدو خلفهم على رجله، فلما رآهم على كذلك أمطرهم بوابل من سهامه ونباله، فولوا منهزمين! ولم يذوقوا من الماء قطرة واحدة.

مروا على (ثنية) في الوادي ضيقة، فأدركهم سلمة ﷺ، وهو يعدو خلفهم كالسبع، واقترب من رجل منهم على فرسه، فرماه بسهم رمية مُحْكَمَة، فوقع السهم في طرف كتفه، فأذاه وآله أُلْمًا شديدًا، ونزف دمه. ولما رماه ابن الأكوع ﷺ بالسهم صاح فيه قائلاً:

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

فصاح الرجل الفزاري قائلاً: واثكل أمي، وليت أمي تعدمني، أنت الأكوع الذي يطردنا ويلاحقنا منذ الصباح الباكر مع طلوع الشمس؟

قال له سلمة ﷺ: نعم يا عدو نفسه! أنا هو!

أي أن سلمة ﷺ أمضي يومًا كاملاً من طلوع الشمس إلى غروبها، وهو يلاحق ويطارد الأعداء، واستخلص منهم جميع ما سطوا عليه من اللقاح والماشية والأمتعة، ومع ذلك لم يكف عنهم. واضطر الأعداء إلى أن يتخلصوا من فرسين، يبدو أن الجري أتعبها وأنهكها، فصارتا عبئًا عليهما؛ ولذلك تخلصوا منها وولوا هارين.

انتهاء مطاردة ابن الأكوع ﷺ للأعداء عند المساء:

وعندما أدرك سلمة بن الأكوع ﷺ أنه لا داعي لأن يلاحقهم في أرض (غطفان) وهي أرض واسعة فسيحة، مليئة بالكافرين المعادين.

لا داعي لأن يلاحقهم ويطاردهم؛ لأنه استرد واستخلص منهم جميع ما نهبوه من اللقاح والماشية والأمتعة التي للمسلمين؛ ولأنه أعطاهم درسًا بليغًا لن ينسوه، لا هم ولا غيرهم، وسيفكرون كثيرًا قبل أن يحاولوا مهاجمة المدينة مرة ثانية!

فإذا كان رجل واحد يعدو خلفهم على رجله فعل بهم هذا الفعل فكيف لو واجههم المسلمون كلهم؟

أخذ الفرسين اللتين تركهما الفزاريون، وجلس على مرتفع في تلك المنطقة ليسترىح، وكانت الشمس قد غابت!

ابن الأكوع ﷺ يعود للرسول ﷺ عند ذي قرد:

وفي هذه الأثناء كان رسول الله ﷺ قد وصل بالجيش إلى عين الماء (ذي قرد) التي منع ابن الأكوع ﷺ الأعداء من الشرب منها، ونزل الجيش المجاهد على عين الماء يشربون ويتوضؤون..
وبين (ذي قرد) والمنطقة التي فيها ابن الأكوع ﷺ مسافة، فكلف رسول الله ﷺ عامر بن الأكوع - عم سلمة ﷺ - أن يلحق بابن أخيه، ويقدم له شيئاً يشربه!

أخذ عامر ﷺ (سطيحة) - وعاء من جلد - فيها لبن، وسطيحة أخرى فيها ماء، فشرب سلمة ﷺ من اللبن، وتوضأ من الماء، وساق الفرسين اللتين أخذهما من الفزاريين، وأتى إلى رسول الله ﷺ وهو على الماء، جالساً بين أصحابه!

وجد سلمة ﷺ أن المسلمين قد جمعوا كل ما استنقذه واستخلصه من الأعداء، من لقاح وماشية وأمتعة، ووجد بلال بن رباح ﷺ قد نحر ناقة للرسول ﷺ، وصار يشوي له من كبدها وسنامها.
سلم سلمة ﷺ على رسول الله ﷺ، وأخبره بتفاصيل ما جرى، منذ الصباح الباكر، وكيف هزم الله الأعداء الكافرين، وكيف أعانه الله على استخلاص كل ما نهبه من أنعام ومواشي وأمتعة المسلمين، وحمد الله على هذه النعمة.

وعرض سلمة ﷺ على رسول الله ﷺ عرضاً جريئاً عجيباً، فقال له: إن الفرسان الفزاريين توجهوا نحو أرض (غطفان) فدعني يا رسول الله أنتخب وأختَر من أصحابك مائة رجل، فألحق بالأعداء أينما كانوا، فأقضي عليهم، ولا أترك منهم أحداً!

أعجب رسول الله ﷺ بهذا العرض الجهادي العجيب من سلمة ﷺ، إنه لا يتوقف عن الجهاد، ولا يتعب ولا يمل منه، ولا يكتف به أنه جاهد الأعداء يوماً كاملاً، من طلوع الشمس إلى غروبها، واستخلص ما بأيديهم، إنما يريد أن يلحق بهم في بلادهم، ويغزوهم في عقر دارهم، فقط يريد مائة مجاهد لهذه الغاية! فضحك رسول الله ﷺ، حتى بدت نواجذه في ضوء النار، التي يشوون عليها لحم الناقة، وقال: يا سلمة! أترأى كنت قاعلاً؟ قال سلمة ﷺ: نعم، والذي أكرمك يا رسول الله!

فضحك رسول الله ﷺ مرة ثانية حتى بدت نواجذه، من إعجابه بشجاعة وهمة سلمة ﷺ.
وقال لسلمة ﷺ: إنهم الآن كَيُفَرُونَ ويضافون في أرض غطفان! أي إن الرجال الفزاريين وصلوا إلى أرض غطفان، ورجال غطفان يقدمون لهم طعام القرى والضيافة، بعد يوم طويل من السير والجري والتعب!

وأقام رسول الله ﷺ على (ذي قرد) يوماً وليلة، يتحسس الأخبار عن حركات الأعداء في غطفان.

الأعداء يخافون من المسلمين في ديارهم:

وجاء رجل من غطفان فأخبر رسول الله ﷺ عن أمر عجيب للرجال الفزاريين، الذين طردهم سلمة ﷺ وحده، أخبر أن أحد رجال غطفان نحر لهم جزورًا ليأكلوا اللحم، ويستريحوا من عناء اليوم الطويل، الذي رأوا فيه من سلمة ﷺ ما رأوا.

وبينما كانوا جالسين مستريحين، وكان أحد الرجال يسلمح الجزور، رأوا غبارًا من بعيد، فقاموا مسرعين، وركبوا خيولهم، وولوا هارين، وتركوا اللحم وراءهم، وقالوا: هذا غبار خيل جيش محمد، هاجم عليكم، فاهربوا وانجوا بأنفسكم؟

ألا ما أبلغ الدرس الذي لقنهُ سلمة بن الأكوع ﷺ وإخوانه المجاهدون ﷺ، هؤلاء القوم الكافرين، اللذين تجرؤوا وسطوا على لقاح وماشية المسلمين! لقد أثر هذا الدرس الجهادي فيهم، وملأ قلوبهم خوفًا وقرعًا ورعبًا من المسلمين، بحيث إذا رأوا خيلًا أو غبارًا ظنوها للمسلمين، فولوا هارين!

ثناء الرسول ﷺ على ابن الأكوع ﷺ وإكرامه له:

وأثناء إقامة الرسول ﷺ بأصحابه على ماء (ذي قرد) قَسَمَ الغنائم على المجاهدين، وخصَّ سلمة بن الأكوع ﷺ بنصيب كبير منها، للدور الجهادي البطولي العظيم الذي قام به، أعطاه ثلاثة أسهم من الغنائم: سهم الرجل الذي يجاهد على رجليه، وسهمان للفارس، الذي يجاهد على فرسه؛ لأنه من المعلوم أن تقسيم الغنائم على أساس: سهم للرجل، وسهمان للفارس!

لقد قام سلمة بن الأكوع ﷺ بدور الرجل الذي يجاهد على رجليه، ودور الفارس الذي يجاهد على فرسه، وهزم وحده فرسان الأعداء؛ ولهذا استحق نصيب الرجل والفارس معًا! وأعطى رسول الله ﷺ شهادة خير فارس وخير رجل، فقال: كان خيرُ فرساننا اليوم أبو قتادة، وخير رَجَالِنَا سلمة!

أبو قتادة - الحارث بن ربيعي - ﷺ، هو خيرُ فرسان المسلمين في غزوة ذي قرد؛ لأنه قتل رجلين من قادة فرسان الكافرين: عبد الرحمن بن عينة، ومسعدة بن حكمة!

وخير رَجَالَةِ المسلمين في هذه الغزوة هو سلمة بن الأكوع ﷺ؛ لأنه كان يحارب راجلاً، ويصوّل ويحول، ويعدو ويجري على رجليه!

وبعد ما انتهت مهمة جيش المسلمين على ماء (ذي قرد) نادى منادي رسول الله ﷺ بالعودة إلى المدينة.

وأراد رسول الله ﷺ أن يكرم سلمة بن الأكوع ﷺ إكرامًا خاصًا، لما قام به من جهاد كبير! فأردفه خلفه على ناقته (العُضباء)!

كانت (العصباء) ناقة لرسول الله ﷺ، أثيرة عنده، وكانت مشهورةً بقوتها وسرعتها، يركبها رسول الله ﷺ في أسفاره وحروبه!

وكان سلمة بن الأكوع ﷺ في غاية السعادة والسرور والانشراح، وهو يرى إخوانه المسلمين، كل منهم يركب فرسه أو ناقته، أو يركب خلف أخيه، إلا هو فإنه كان يركب ناقة رسول الله ﷺ، والرسول ﷺ أمامه على ظهر الناقة!

ابن الأكوع ﷺ يفوز في سباق الجري في طريق العودة:

وفي طريق العودة إلى المدينة قدّم سلمة ﷺ لإخوانه موهبةً جديدةً من مواهبه، الدالة على قوته وحيويته و(لياقته) البدنية العالية: فيينا كان سلمة راکباً (العصباء) خلف رسول الله ﷺ، وبينما كان الجميع يسرون عائدين، نادى رجلٌ من الأنصار: مَنْ يسابقني إلى المدينة؟ وكان هذا الأنصاري مشهوراً بالجري والعدو، يُسابق إخوانه ولا يكادُ يسبّقه أحد.

وبدا لهذا الأنصاري أن يُسابق إخوانه، بل أن يتحداهم: مَنْ يُسابق إلى المدينة؟ وَمَنْ يقدر على أن يسبقني؟ أعاد القول أكثر من مرة! وأعلن التحدي أكثر من مرة، فلم يردّ عليه أحد من إخوانه! يبدو أنه لعلمهم بأن أحاهم المتحدي بطلٌ في الجري والسبق، وأنه لا يسبقه أحد، فالتحدي محسومٌ مسبقاً بفوزه وسبقه!

وسمع سلمة بن الأكوع ﷺ التحدي، ولم يشأ أن يسكت كما سكت إخوانه، ولم يرض أن يقال: خشي سلمة من مسابقة أخيه مسابقةً ودية، فقال لأخيه المتحدي: أما تكرم كريباً، ولا تهاب شريقاً؟ أي: أتقصّد بكلامك جميع إخوانك المسلمين؟ ولا تستشي أحداً كريماً ولا شريقاً؟ وهل يشملني كلامك وتحديك؟ فأجابه أخوه الأنصاري: لا أستشي منكم أحداً، إلا أن يكون رسول الله ﷺ!

واستثار هذا الجواب سلمة ﷺ، ودفعه إلى قبول التحدي، وتعجّب كيف يتحداه أخوه الأنصاري في الجري والسباق! ألا يعلم موهبته ومهارته في ذلك؟ ألم يسمع شهادة الرسول ﷺ عندما قال: (وخير رجالتنا سلمة)؟ ألم يقف على ما قام به سلمة في الغزوة، عندما سبق خيل الأعداء، وهو يعدو على رجله؟

وقبل سلمة ﷺ تحدي أخيه، واستأذن رسول الله ﷺ بذلك، أدباً واحتراماً له، فقد كان رديفاً له على الناقة! قال: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي، ذرني أسابق الرجل، فقال له: افعل، إن شئت، نادى سلمة أخاه الأنصاري قائلاً: استعد للسباق، فأنا آتيك الآن، وبدأت المسابقة بين الرجلين، وقام الصحابة بمشاهدتها ومراقبتها باستمتاع!

ثنى سلمة بن الأكوع ﷺ رجله وهو على الناقة، خلف رسول الله ﷺ، وقفز عن الناقة بمتهى المهارة واللياقة، وجاء واقفاً على الأرض ثابتاً، وطلب من أخيه أن يجري، وجريا معاً!

بدأ أخوه الأنصاري بالجري السريع، وبذل أقصى طاقته وسرعته في ذلك، وسبق سلمة بشوط أو شوطين، وقطع مسافة في ذلك! لماذا تأخر سلمة عنه؟ وأين سرعته الفائقة المعهودة؟ إن سلمة ﷺ حكيم خبير في (فن السباق)، يعرف كيف يسابق الرجال، وكيف يسبقهم! لقد تعمد أن لا يبدأ التسابق بالعدو السريع، وبذل أقصى طاقته وسرعته في ذلك! كما فعل الأنصاري؛ لأن عاقبة ذلك وخيمة، تنقلب عليه، حيث تستنفد طاقته وقوته وسرعته، وينقطع نفسه، فيعجز عن الاستمرار في التسابق!

يعرف سلمة ﷺ هذا؛ ولهذا بدأ الجري بالتدريج، ليحافظ على طاقته ونفسه، ولما تجاوز جسمه معه، ووازن نفسه موازنة دقيقة، نظر إلى أخيه فإذا هو متقدم عليه بشرف أو شرفين - بشوط أو شوطين، فبذل ابن الأكوع ﷺ طاقته المذخورة المرصودة، وجرى جرياً سريعاً، وما هي إلا لحظات حتى لحق بأخيه الأنصاري، وأدركه، وصكّه بكفيه بين كتفيه، وقال له: قد سبقتك! فوجئ الأنصاري بابن الأكوع يدركه ويصكّه بيديه، وقال له: نعم أنت سبقتني! ورأى الصحابة مباراة التسابق، وحكموا لسلمة ﷺ بالفوز على أخيه..

وبعدما وصل رسول الله ﷺ المدينة، أقام بها مع أصحابه ثلاث ليال فقط، ثم نادى أصحابه الذين شهدوا معه صلح الحديبية بالخروج إلى خيبر لقتال اليهود، وكان سلمة بن الأكوع ﷺ في مقدمة الذين خرجوا إلى غزوة خيبر، هو وعمه (عامر)، وكان لسلمة حديث عجيب في غزوة خيبر، حيث لقي عمه عامر وجه الله شهيداً فيها!

وهكذا رأينا سلمة بن الأكوع ﷺ حالاً مرتحلاً مجاهدًا، ما إن يخرج من غزوة حتى يدخل في غزوة أخرى، وما إن ينتهي من معركة حتى يبدأ معركة أخرى ﷺ! اهـ.

مصادر ومراجع للدراسة:

أ - كتب السنة: جامع الأصول لابن الأثير (٦٠٦هـ) ٨/ ٣٣٢ - ٣٣٥، مجمع الزوائد للهيتمي (٨٠٧هـ) ٦/ ٢٠٨ - ٢٠٩، فتح الباري لابن حجر (٨٥٢هـ) ٧/ ٥٢٦ - ٥٢٩، الأساس في السنة لحوى (١٤٠٩هـ) ٢/ ٧٩٠ - ٧٩٤.

ب - كتب السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي: السيرة النبوية لابن إسحاق (١٥٢هـ) بهتذيب ابن هشام (٢١٨هـ) ٢/ ٢٨١ - ٢٨٩، المغازي للواقدي (٢٠٧هـ) ٢/ ٥٣٧ - ٥٤٩، الطبقات لابن سعد (٢٣٠هـ) ٢/ ٧٦ - ٨١، تاريخ الطبري (٣١٠هـ) ٢/ ٥٩٦ - ٦٠٤، دلائل النبوة للبيهقي (٤٥٨هـ) ٤/ ١٧٨ - ١٩٣، الاكتفاء للكلابي (٦٣٤هـ) ٢/ ٢٠٦ - ٢١٥، تاريخ الإسلام للذهبي (٧٤٨هـ) ١/ ٣٣٣ - ٣٤١، زاد المعاد لابن القيم (٧٥١هـ) ٣/ ٢٧٨ - ٢٨٠، البداية والنهاية لابن كثير (٧٧٤هـ) ٦/ ١٦٥ - ١٨٠، إمتاع الأسماع للمقرئزي (٨٤٥هـ) ١/ ٢٥٩ - ٢٦٥، سبل الهدى والرشاد للصالحي (٩٤٢هـ) ٥/ ١٤٩ - ١٧٩.

ج - كتب السيرة الحديثة: صحيح السيرة النبوية للعلي (٣٣٠ - ٣٣٧)، السيرة النبوية لرزق الله (٤٩٧)، السيرة النبوية للصلابي (٢/ ٣٢٣ - ٣٢٤).

د - كتب الغزوات والسرائيا: صلح الحديبية لباشميل (٣٦ - ٤١)، غزوة الحديبية لأبي خليل (٢١ - ٢٨)، فقه الغزوات للعيساوي (٣٣٦ + ٣٥٩ - ٣٦٠).

[illegible]

سرايا السنة السابعة من الهجرة المباركة

الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ للمغلوث ص ١٨٣ .

[illegible]

وينظر خرائط سرية محمد بن مسلمة عليه السلام إلى نجد.